البناء المنهجي لكتاب حازم القرطاجني (منهاج البلغاء وسِراج الأدباء) ووجوه اتصاله بالرؤية النقدية الحديثة

د. سامي بن عبدالعزيز العجلان
قسم الأدب والبلاغة والنقد -كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

البناء المنهجي لكتاب حازم القرطاجني (منهاج البلغاء وسِراج الأدباء) ووجوه اتصاله بالرؤية النقدية الحديثة

د. سامي بن عبدالعزيز العجلان
قسم الأدب والبلاغة والنقد -كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٦/ ٢/ ١٤٤٦ هـ تاريخ قبول البحث: ١٧/ ٤/ ١٤٤٦ هـ

ملخص الدراسة:

امتاز كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجني بدقة منهجية عالية، وحرص لافت على الترتيب والتبويب، والتزام صارم بمقتضيات النظر العقلي المنظَّم والتقسيم المنطقي المحكَم، ويسعى هذا البحث إلى استكشاف روح التنظيم البارزة في الكتاب، وتحليل البناء المنهجي له؛ من خلال استقراء عناصر هذا البناء المتمثلة في: عنوان الكتاب، وبواعث تأليفه، وأقسامه وطريقة بنائه، ومصطلحاته، وشواهده، ومصادره، واستنتاج السمات المميزة لهذه العناصر المنهجية في الكتاب، وصولًا إلى وجوه التلاقي بين كتاب حازم -ببنائه المنهجي وأسلوب تناوله للقضايا النقدية- وبين الرؤية النقدية الحديثة.

الكلمات المفتاحية: حازم القرطاجني، كتاب منهاج البلغاء، البناء المنهجي، البلاغة، النقد.

The Methodological Structure of Ḥāzim Qarṭājannīʾ s Book Minhāj Al-Bulaghāʾ wa Sirāj Al-Udabāʾ and Its Aspects of Relevance to the Modern Critical Perspective

Dr. Sami Abdulaziz Al-Ajlan
Department of Literature, Rhetoric and Criticism, College of Arabic Language, Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Abstract:
Minhāj Al-Bulaghāʾ wa Sirāj Al-Udabāʾ by Ḥāzim Qarṭājannī is distinguished by its meticulous methodology, remarkable attention to arrangement and classification, and strict adherence to the requirements of organized rational thought and precise logical division. This research aims to explore the prominent organization in the book, analyze its methodological structure, through an inductive study of the elements of structure, as represented in the title of the book, the motives for authoring the book, sections in the book and the method of its construction. In addition, it aims to explore the book's terminology, its paratexts, its sources and deducing the distinctive features of these methodological elements in the book, concluding with the aspects of convergence between Ḥāzim's book - with its methodological structure and style of dealing with critical issues - and modern critical perspective.

Keywords: Ḥāzim Qarṭājannī, Minhāj al-bulaghāʾ Book, Methodological structure, Rhetoric, Criticism.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد، فهذا بحث يتناول بالدرس كتاب (مِنهاج البُلغاء وسِراج الأدباء) للشاعر الأديب والبلاغي الناقد أبي الحسن حازم بن محمد بن حسن القرطاجنِّي (٦٠٨-٦٨٤هـ)، منطلقًا من تحليل البناء المنهجي الذي وضعه حازم لهذا الكتاب، وتناوله الفريد للقضايا النقدية الذي يلتقي فيه مع الرؤية النقدية الحديثة.

ويتكون هذا البحث من تمهيد ومبحثين، حيث يعرّف التمهيد بالكتاب ومؤلفه تعريفًا موجزًا، ويتناول المبحث الأول العناصر المرتبطة بالبناء المنهجي للكتاب، من حيث: عنوانه، وبواعث تأليفه، وأقسامه وطريقة بنائه، ومصطلحاته، وشواهده، ومصادره، ويتناول المبحث الثاني وجوه اتصال هذا الكتاب -ببنائه المنهجي وأسلوب تناوله للقضايا النقدية- بالرؤية النقدية الحديثة.

والدراسات السابقة حول حازم وكتابه غزيرة جدًّا، وذات اهتمامات متنوعة، وقد أفاد هذا البحث من قدرٍ صالح منها؛ وبخاصة ما كان له اهتمام بالقضايا المنهجية في كتاب حازم، مثل: (ظاهرة الشعر عند حازم القرطاجني) لمحمد الحافظ الروسي، و(حازم القرطاجني: حياته ومنهجه البلاغي) لعمر عبدالمطلب، و(مناهج البحث البلاغي عند العرب) لعماد البخيتاوي.

وما تهدف إليه هذه الدراسة هو أولًا: استكشاف روح التنظيم المنهجي البارزة في الكتاب، وتتبّع مظاهرها وشواهدها ودلالاتها، وهو التنظيم الذي سعى حازم من خلاله إلى غربلة المباحث البلاغية والنقدية المتصلة بالشعر، وتنظيمها في نسق مترابط، ثم النظر ثانيًا في: أثر هذه المنهجية العالية لهذا الكتاب في كيفية تناوله للقضايا النقدية، ومدى اتصال هذا التناول بالرؤية النقدية الحديثة.

ومنهج هذه الدراسة وصفي تحليلي يفعّل آليات الرصد، والاستقراء، والموازنة، مع الاستعانة بالرصد التاريخي لعصر الكتاب وزمن المؤلف.

تمهيد

الكتاب:

يُعدّ كتاب (مِنهاج البلغاء وسِراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي من أبرز مؤلّفات البلاغة والنقد في التراث العربي، وقد عرف له مكانته جِلّة من العلماء المتقدمين، فأشاد به أبوحيان الأندلسي في مقدمة تفسيره (البحر المحيط)، وجعل من أوثق مصادره في علم البيان: «ما وضعه شيخنا الأديب الحافظ المتبحر أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري القرطاجني مُقيم تونس المسمّى (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)»[(١)]، وكذلك صنع بهاء الدين السبكي في مقدمة كتابه (عروس الأفراح)[(٢)]، أمّا بدر الدين الزركشي فقد عدّ كتاب حازم من أفضل المصنّفات المؤلَّفة في علم البيان والبديع[(٣)]، كما استمدّ من آرائه واقتبس منه نصوصًا مطوّلة في مواضع عِدّة من كتابه الموسوعي (البرهان في علوم القرآن)[(٤)].

طُبع كتاب (مِنهاج البلغاء وسِراج الأدباء) لحازم القرطاجنّي عام ١٩٦٦م بتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة عن نُسخة مخطوطة يتيمة في المكتبة العبدلية بجامع الزيتونة في تونس، وهي نسخة مبتورة من أولها، ومن آخرها، والبتْر في أولها كبير، وربما ذهب معه قُرابة رُبع المخطوط؛ كما سيتبيَّن

---

(١) يُنظَر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي ١/١٠٧.

(٢) يُنظَر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي ١/٣٠-٣١.

(٣) يُنظَر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي ١/٣١١.

(٤) يُنظَر: البرهان ١/٥٩، ٤٩١، ٢/٤٠٨، ٣/١٠٥، ٢٨٨، ٣١٤، ٤٠٧.

عند الحديث عن أقسام الكتاب، كما أنه لا يمكن الجزْم بمقدار البتْر الذي لحق آخر النسخة، وقد رأى المحقِّق أنه بتر يسير(١)، فيما قدَّر بعض الباحثين أنَّ هذا البتْر الواقع في آخر الكتاب ليس أقلَّ مِن البتْر الكبير الواقع في أوله(٢)، وإنْ كان ثمة إشارات في أواخر الكتاب تُؤيِّد رأي المحقِّق، إذْ يبدو حازم فيها وكأنه يتهيَّأ لختْم كتابه(٣).

من هنا يتبيّن أنَّ كتاب (مِنهاج البلغاء) بوضعه الحالي لا يفِي بتقديم تصوُّر دقيق عن مشروع حازم النقدي، وبخاصة مع هذه البداية المبتورة التي لا تُقدِّم أيَّ تمهيد للقارئ، وإنما تصدمه مباشرة بأعقد مباحث الكتاب وأشدِّها جفافًا، وتُسهِم في صدِّ الكثيرين عن مواصلة قراءته، أو تشحنهم نفسيًّا ضدَّه إذا ألزموا أنفسهم بمواصلة القراءة؛ مع أنَّ نسبةً كبيرة من مباحث الكتاب هي مباحث أصيلة وواضحة ومجلِّية، وتكشف عن فِكْر نافذ ومقدرة عجيبة في الغوص على أدقّ المعاني وأعمق الأفكار(٤)، وقد تجلَّتْ في الكتاب شخصية المؤلِّف وفِكْره الخاصّ وآراؤه المتميِّزة واستنتاجاته الفريدة؛ حتى لتكاد تشعر به وهو يُلوِّح لك بكلتا يديه وأنت تتصفَّح كتابه، وهو الأمر الذي يقلُّ نظيره في

(١) يُنظَر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنّي (مقدمة المحقّق)/١١١.

(٢) يُنظَر: تقريب منهاج البلغاء، محمد أبو موسى/٢٣٤.

(٣) يُنظَر: منهاج البلغاء/٣٧٣ ، ٣٧٩-٣٨٠، مع تعليقات المحقِّق في الحاشية.

(٤) يُنظَر مثلًا في منهاج البلغاء/٧١-٨٩، ١٠١-١٠٤، ١٠٩-١١١، ١١٦-١٢٦، ١٤٣-١٤٤، ١٧٢-١٩٦، ٢٠٢-٢٢١، ٢٤٩-٢٥٢، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٨٧-٣٠٥، ٣٢٣-٣٢٤، ٣٤١-٣٤٤، ٣٦٣-٣٧٩.

كُتُب البلاغة الأُخرى، ومن هنا لا أدري لماذا اتَّجه بعض الباحثين الجادّين إلى التقليل من شأن هذا الكتاب، ومن مكانة مؤلِّفه بين البلاغيين؛ حتى جعله أقلَّ شأنا من السكَّاكي، والقزويني، بل حتى أقلّ من بدر الدين بن مالك، ويحيى العلويّ، ورأى أنَّ المسافة بينهم وبينه متَّسعة، وأنَّ عِلْمه قريب لولا لغته الصعبة(١).

والواقع أن ما هيّأ لكتاب حازم أن يكون له هذا الصِّيت الكبير في الدراسات النقدية والبلاغية المعاصرة، وأن تشتغل به كلُّ هذه البحوث والمؤلّفات المتوالية في الصدور، حتى ليمكن أن تُكوّن وحدها مكتبة بلاغية ونقدية شاملة، ليس متعلقًا -في الأساس- بما يكشف عنه هذا الكتاب من علم مؤلّفه وإحاطته بالتراث البلاغي السابق له، بل إنه يتعلق بالرؤية البلاغية المغايرة التي يصدُر عنها هذا الكتاب، والموقف النقدي المختلِف والمخالِف لكثير من أساليب التناول السائدة في المؤلّفات البلاغية السابقة والمعاصرة له، وجرأته في اجتراح هذه المحاولة النادرة في تراثنا للجمع بين أصول البلاغة العربية ومعايير الشعرية في الفلسفة اليونانية -بصرف النظر عن تفاصيل رأينا في هذه المحاولة، وموقفنا من هذا الجمع- وأخيرًا ما تميز به هذا الكتاب من روح تنظيم منهجي دقيق ولافتٍ للنظر في طريقة بنائه وتقسيمه، وكيفية تسلسل أبوابه وفصوله، وتشعُّب مباحثه ومطالبه.

(١) يُنظَر: تقريب منهاج البلغاء/٢٠، ٣٧، ٤٧، ١٢٨.

المؤلف:

هو أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن القرطاجنّي؛ نسبةً إلى مسقط رأسه: مدينة قَرطاجَنّة الواقعة في الجنوب الشرقي من الأندلس (إسبانيا)، ففيها وُلِد سنة ٦٠٨هـ، وأمضى بين جنباتها سِنِيّ صِباه وفتوّته، وطلب العلم فيها وفي المدن القريبة منها كغرناطة وإشبيلية، ولم يغادر الأندلس إلا بعد حدثين جليلين ومتعاقبين، وهما: وفاة والده سنة ٦٣٢هـ، وسقوط قرطبة -وهي قاعدة الأندلس وحاضرتها الكُبرى- في يد النصارى سنة ٦٣٣هـ، فتوجّه في البدء نحو مرّاكش في المغرب الأقصى عند الموحّدين، ثم استقرّ به المقام في تونس عند الحفصيين، وعلا شأنه فيها، وذاع فضله وعلمه، وبرز في الشعر والأدب وعلم العربية والبلاغة والعَروض، فصار مقصدًا لطلّاب العلم، وظلّ بها في علوّ شأن وحسن سيرة حتى وفاته عام ٦٨٤هـ.

ومن أهمّ آثار حازم التي سلمتْ من الضياع: (المقصورة) الشهيرة التي عارضَ بها مقصورة ابن دريد، و(القصيدة النحوية)، وهي منظومة تعليمية في علم النحو، وكتابه الأشهر الذي تدور حوله هذه الدراسة: (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)[١]

(١) في ترجمة حازم القرطاجني يُنظَر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي ٢٠٨/١١، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي ٤٩١/١-٤٩٢، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي ٦٧٦/٧، وتوسّع ابن المقّري التلمساني في الإشادة بشعر حازم وإيراد نماذج مطوّلة من قصائده، في كتابيه: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٥٨٤/٢-٥٨٩، ٥١٩/٥-٥٢٥، وأزهار الرياض في أخبار عياض ١٧١/٣-١٨٤، وحديثًا أجاد محقق كتاب (المنهاج) في تتبّع أطراف حياة حازم والتعريف بمنزلته الشعرية ومصنّفاته العلمية؛ يُنظَر: منهاج البلغاء (مقدمة المحقق)/٣٣-٩١.

المبحث الأول: عناصر البناء المنهجي للكتاب

عنوان الكتاب:

أشار عبدالرحمن بدوي إلى اختلاف المترجمين في ذِكْر عنوان هذا الكتاب، ومِن العنوانات التي ذكروها: (منهاج البلغاء)، و(سراج البلغاء)، كما ذكر أنَّ العنوان المكتوب على غلاف المخطوط هو: (المناهج الأدبية)، وقدَّر أنَّ هذا العنوان الأخير من وضع أحد مالكي المخطوط أو القائمين على شؤون مكتبة جامع الزيتونة، ثم رجَّح أنَّ العنوان الصحيح لهذا الكتاب هو ما ذكره بدر الدين الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)[١]، وهو: (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)[٢]، وتابعه في هذا الترجيح محقِّق الكتاب؛ مُضيفًا أنَّ عنوان (المناهج الأدبية) الموجود على غلاف المخطوط قد كُتِب بخطٍّ حديث، ومستدلًا كذلك لصحَّة العنوان الراجح بنصّ السبكي عليه في كتابه (عروس الأفراح) عند سرده لمصادره[٣]، ومن هنا فلا يُتوقَّف عند العنوانات المختصرَة التي ذكرها بعض العلماء والمترجمين؛ لأنَّ اختصار عنوان الكتاب عند ذِكْره أو الإحالة عليه من الأمور الشائعة في كتب التراث[٤].

---

(١) يُنظَر: البرهان ٣١١/١، وفيه يقول : «وما وضعه حازم الأندلسي المسمَّى بمنهاج البلغاء وسراج الأدباء»، وفي صياغة الزركشي ما يدلُّ على دِقَّة التسمية؛ تأمَّلْ قوله: « المسمَّى بِـ»، فهو نصٌّ واضح على اسم الكتاب، والزركشي دقيق في مثل هذه الأمور العلمية، ولعلَّ هذا ما حدا ببدوي إلى ترجيح هذا العنوان.

(٢) يُنظَر: حازم القرطاجني ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة، عبدالرحمن بدوي/٢ .

(٣) يُنظَر: عروس الأفراح ٣٠/١-٣١.

(٤) يُنظَر: منهاج البلغاء (مقدمة المحقِّق)/٩٣-٩٤.

أمَّا سبب اختيار هذا العنوان؛ فلعلَّ حازمًا ذكره في مقدِّمة كتابه التي ضاعت مع القِسم المفقود من بداية الكتاب، وقد حاول بعض الباحثين الاجتهاد في هذه المسألة، ومِنهم إحسان عبَّاس الذي قدَّم تعليلًا طريفًا للعنوان يتصل كذلك بالعنوانات الفرعية التي وضعها حازم لفصول كتابه ومباحثه وفِقَره، وسأذكر هذا التعليل إن شاء الله عند الحديث عن أقسام الكتاب، فهو بتلك المسألة أكثر علوقًا، أمَّا محمد أبو موسى فقد أعاد تسمية حازم كتابه بالمنهاج إلى تشرُّبه بالمصطلحات الفقهية والأُصولية، وكلمة المنهاج وكُتُب المنهاج شائعة جداً في بيئة الفُقَهاء والأُصوليين(١)، وما يهمُّنا هنا هو علاقة هذا العنوان بمتن الكتاب، وهي علاقة واضحة من خلال تأمُّل الطريقة التي قسَّم حازم بها كتابه، فالكتاب مقسَّم إلى عِدَّة مناهج (فصول)، وهذه المناهج مُسرَجة بإضاءات وتنويرات يضعها حازم عنوانًا على رأس كلِّ فِقْرة من فِقرات كتابه، فهي: مناهج؛ أي طُرُق يُزوِّد حازم قارئه السالك فيها بسراج دائم التوقُّد يُضيء له ويُنير دربه.

(١) يُنظَر: تقريب منهاج البلغاء/١٠٧، ٢١٢، ٢٤٥.

بواعث التأليف:

أمَّا النصُّ الصريح على سبب التأليف، فلعلَّ حازمًا قد ذكره في مقدِّمة الكتاب المفقودة؛ غير أنه يمكن تلمُّس بعض الأسباب التي دفعتْ حازمًا إلى تأليف هذا الكتاب؛ عبر بعض الإيماءات التي نثرها في الكتاب، فمِن ذلك إشاراته المتكرِّرة إلى تردِّي أوضاع الشعر وضعف الشعراء في عصره وفي العصر السابق له على امتداد مائتي عامٍ قبله: «فلم يُوجَد فيهم على طول هذه المدَّة مَن نحا نحو الفحول، ولا مَن ذهب مذاهبهم في تأصيل مبادئ الكلام، وإحكام وضْعه وانتقاء موادِّه التي يجب نحتُه منها، فخرجوا بذلك عن مهْيع الشعر، ودخلوا في محض التكلُّم»(١)، وبسبب هذا الاختلال الواقع في القرائح والأذواق أصبح الناس بحاجة إلى ناقدٍ خبير بالشعر وبصناعة البلاغة؛ ليستخلص لهم القوانين الصحيحة فيها، ويدلَّهم عليها، وهي المهمة النقدية التي رأى حازم ضرورة النهوض بها: «لأُرشِد مَن لعلَّ كلامي يحلُّ منه محلَّ القبول من الناظرين في هذه الصناعة إلى اقتباس القوانين الصحيحة في هذه الصناعة»(٢).

كما يتبدّى لقارئ المنهاج سبب ثانٍ من أسباب تأليف الكتاب، عندما يرى احتفاء حازم الكبير ببلاغة القصيدة وتناسب فصولها، وتدقيقه النظر في أصول صنعة الشعر ومراحل إبداعه، وإكثاره تبعًا لذلك من الشواهد الشعرية، بموازاة قلة شواهده من القرآن الكريم والنصوص النثرية بعامة –وهو ما سيأتي تفصيله لاحقًا في الفقرة المخصصة لشواهد الكتاب– فهذا التباين

(١) منهاج البلغاء/١٠.

(٢) المصدر السابق/٢٨، ويُنظَر فيه أيضاً/٣٧.

الواضح عنده في العناية والاهتمام بين شواهد الشعر والنثر يُوحي بأنه أراد أن يخرج بالبلاغة عن التوجُّه الكلاميّ الذي غلب عليها منذ القرن الرابع الهجري، وما استتبعه من بحوث ومسائل متصلة بإثبات إعجاز القرآن، إلى توجُّه فني أقرب إلى صنعة الشعر وبراعة التخييل، وهكذا اتجهت البلاغة عنده «من مجال البحث في النثر إلى البحث في الشعر»(١).

كما أومأ حازم إلى سبب ثالث من أسباب تأليفه كتابه، وهو: رغبته في الكشف عن أُصُول صناعة البلاغة وجوهرها الخفيّ، وهو الأمر الذي لم يسلكه – بحسب رأيه واطِّلاعه– أحد من البلاغيين السابقين له بسبب صعوبته؛ ولهذا اكتفوا بظواهر هذه الصناعة، وفي هذا يقول: «وقد سلكتُ من التكلُّم في جميع ذلك مسلكًا لم يسلكه أحد قبلي من أرباب هذه الصناعة؛ لصعوبة مَرامه ، وتوعُّر سبيل التوصُّل إليه، هذا على أنه روح الصنعة وعُمدة البلاغة... فإني رأيتُ الناس لم يتكلَّموا إلاَّ في بعض ظواهر ما اشتملتْ عليه تلك الصناعة، فتجاوزتُ أنا تلك الظواهر –بعد التكلُّم في جُمَل مُقنعة مِمَّا تعلَّق بها– إلى التكلُّم في كثير من خفايا هذه الصنعة ودقائقها»(٢)، وبغضِّ النظر عن هذه النبرة المعتدّة في هذا النصّ، وشعور التشكُّك الذي قد يُلِمُّ بالقارئ المتخصِّص وهو يقرأ هذا الكلام المتجافي عن بحوث البلاغيين والنقاد السابقين لحازم –وهي البحوث التي لا يمكن إنكار ما فيها من تميّز وتعمّق– فإنَّ الشاهد هنا هو ما في هذا النصّ من إيماء إلى شيء من الدوافع التي حملتْ حازمًا على تأليف هذا الكتاب.

---

(١) حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي، عمر عبدالمطلب/٩١.

(٢) منهاج البلغاء/١٨، ويُنظَر فيه أيضاً/٥١.

أقسام الكتاب وطريقة بنائه وترتيبه:

توجَّه حازم في كتابه (المنهاج) إلى دراسة الشعر وتحليل العناصر المكوِّنة له، ومن هنا قسَّم كتابه أربعة أقسام رئيسة، يبحث كلٌّ منها في جانب من الجوانب الكبرى المتعلِّقة بصنعة الشعر، أمَّا القِسم الأول من هذه الأقسام الأربعة ؛ فهو مفقود مع مقدِّمة الكتاب ، والنسخة الموجودة تبدأ من القِسم الثاني من الكتاب، وهو: المعاني، وهو أكبر الأقسام الموجودة حجمًا، ويشغل نصف حجم الكتاب بصورته الحالية، ولم يسلم هذا القِسم أيضًا من النقص الذي طال معظم مادَّة المنهج (الفصل) الأول من مناهجه (فصوله)، ويليه القِسم الثالث، وهو: المباني (النظْم)، ويأتي هذا القِسْم في المرتبة الثانية من حيث الحجْم بعد القِسم السابق، ثم يليه القِسم الرابع من أقسام الكتاب، وهو: الأُسلوب، وهو أصغر الأقسام الموجودة حجمًا، وقد اعتراه النقص في آخره؛ بسبب البتْر الذي لحق آخر الكتاب، وقد حاول محقِّق الكتاب تقدير بعض الموضوعات التي تناولها حازم في القِسم الأول المفقود من الكتاب؛ من خلال الإشارات والإحالات التي ذكرها حازم نفسه في بقية الكتاب، وكذلك من خلال بعض النصوص التي اقتبسها كلٌّ مِن: السبكي في (عروس الأفراح)، والزركشي في (البرهان في علوم القرآن)، وبِناءً على هذا قدَّر المحقِّق أنَّ حازمًا في هذا القِسم المفقود: «يتناول بالبحث القولَ وأجزاءه، والأداء وطُرُقه، والأثر الذي يحصل للسامعين عند صدور الكلام»[1]، ثم يُشير المحقِّق إلى بعض الموضوعات التي نقلها السبكي والزركشي –فيما يبدو– عن هذا القِسم؛ مثل:

(١) منهاج البلغاء (مقدِّمة المحقِّق)/٩٤.

الحديث عن الضرائر، وعن الابتذال، والغرابة، والتشبيه وشروطه، والالتفات، والزيادة والقلْب[1].

غير أنَّ المحقِّق لا يصل من هذا التتبُّع إلى العنوان الجامع الذي تنطوي تحته كلُّ مباحث القِسم الأول من الكتاب، وقد تتبَّعتُ من جانبي هذه المسألة عبر نصوص حازم في الكتاب ومنهجه في تناول قضاياه، فلفت نظري أنه كان في مواضع عِدَّة من الكتاب يُشير إلى جوانب الصناعة الشعرية، فيجعلها في أربعة مستويات متصاعدة -بدءًا من الأقلِّ تركيبًا إلى الأعقد-: مستوى الألفاظ، ومستوى المعاني، ومستوى النظْم، ومستوى الأُسلوب؛ كقوله مثلًا: «قد أشرنا إلى بعض ما ينحو الشُّعَراء نحوه فيما يرجع إلى أُمورٍ: لفظية، أو معنوية، أو نظْمية، أو أُسلوبية، وأومأتُ إلى مذاهبهم في ذلك»[2]، فإذا استحضرنا موضوعات الأقسام الثلاثة الأخيرة المتبقِّية من الكتاب، وجدناها على التوالي: المعاني، والنظْم، والأُسلوب، وقد رُتِّبتْ هذه الأقسام على الترتيب نفسه الموجود في نصّ حازم السابق وفي نصوصه الأُخرى المحال إلى مواضعها في الحاشية، وقد تتبَّعتُ من جهة أُخرى إشارات حازم وإحالاته في القِسم المتبقِّي من كتابه إلى هذا القِسم المفقود منه، فوجدتُ جُلَّ هذه الإحالات تتعلَّق

(١) يُنظَر: المصدر السابق (مقدِّمة المحقِّق)/٩٥، ويُنظَر أيضًا محاولة محمد العمري في كتابه البلاغة العربية أصولها وامتداداتها/٥١٢-٥١٨ لإعادة بناء القسم الأول المفقود من الكتاب، وتقدير موضوعات مباحثه؛ من خلال النصوص المتناثرة التي قيّدتْها بعض المصادر اللاحقة نقلًا عنه.

(٢) المصدر السابق/٣٧٣، ويُنظَر المواضع الأُخرى فيه/٢٩٥-٢٩٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٦٦، ٣٧٩-٣٨٠.

بالألفاظ، والحالات التي تعرض لها[1]، ومن هذا كله يمكن القول -بظنٍّ راجح-: إنَّ عنوان القِسم الأول المفقود من الكتاب هو: الألفاظ[2].

هذا هو إذن التقسيم العامّ للكتاب: قِسم للألفاظ، وقِسم للمعاني، وقِسم للنظْم، وقِسم للأُسلوب، فهي الأبواب الكُبْرى للكتاب، وفي كلِّ باب من هذه الأبواب الكُبْرى يعقد حازم فُصُولًا متسلسلة يُسمِّيها (مناهج)، وهو يُراعي الدِّقَّة حتى في عدد هذه المناهج داخل كلِّ قِسم، فيجعل عددها موحّدًا بين الأقسام، وهو: أربعة مناهج، وداخل كلِّ منهج من هذه المناهج تتوالى المباحث التي يُطلِق حازم عليها تسميتين متناوبتين: (مَعْلَم)، و(مَعرِف)، وقد يُضيف إليها تسمية ثالثة غالبًا ما تكون في أواخر المنهج، وهي (مَأمّ). ثم في كلِّ مبحث: (مَعْلَم، ومَعْرِف، ومأمّ) تترتَّب الفِقْرات: فِقْرةً فِقْرة، وقد أخذتْ كلٌّ منها إحدى التسميتين المتناوبتين : (إضاءة)، و(تنوير)، فهو كتاب ذو تقسيم هندسي خالص، ومن النادر أن تجد في كُتُب البلاغة العربية القديمة مثل هذه الدِقَّة في التبويب والتقسيم لأبواب الكتاب وفصوله ومباحثه وفِقْراته.

وقد حاول إحسان عبَّاس أن يتلمَّس بعض الخيوط التي تربط هذه التسميات الفريدة التي أطلقها حازم في كتابه؛ بدءًا من عنوان الكتاب، ومرورًا

---

(١) يُنظَر: منهاج البلغاء/١٧، ١٩، ٤٤، ٩٣، ١٣٢، ٢٢٢.

(٢) كنتُ أظنُّ أني لم أُسبَق إلى هذا الاستنتاج؛ لكني بعد أن أنهيتُ قراءة كتاب حازم، وبدأتُ في قراءة الدراسات التي تناولتْه وجدتُ أنَّ شكري عيَّاد قد سبقني إلى هذا الاستنتاج، يُنظَر: كتاب أرسطوطاليس في الشعر، حقَّقه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية شكري محمد عيَّاد/٢٤٣ (حاشية٦)، غير أنه لم يُعلِّل هذا الاستنتاج كما فعلتُ، وإنما ذكر أنه توصَّل إليه: «من بعض الإشارات الواردة في الأقسام التالية».

بعنوانات الأبواب والفصول والمباحث والفِقْرات، فراح يربط بين دلالة الجزء الأول من العنوان (منهاج البلغاء)، وبين العنوانات الفرعية التي قسَّم حازم بها فصول كتابه ومباحثه، وهي: (منهج)، وهو: الطريق الواسع، و(معلَم) و(معرِف)، وهما: إشارتان تدلان على هذا الطريق من خلال العِلْم والمعرفة، و(مأمّ) يُفضي إلى غاية هذا الطريق، ثم ربط بين دِلالة الجزء الثاني من العنوان: (سراج الأدباء)، وبين العنوانين الفرعيين اللذين قسَّم حازم بهما فِقَر كتابه ، وهما: (إضاءة)، و(تنوير)، فهذه الإضاءات والتنويرات هي من فيض هذا السراج الوهَّاج الذي أقامه هذا الكتاب، وهذا يعني أنَّ الساري على هذا المنهاج -أي الطريق- يستدلُّ بهذه المعالم والمعارف والمآمّ، ويستنير بالسراج الذي يُعطيه إضاءة وتنويرًا في دربه(١).

ومع هذا فلا يمكن أن ننكر أن كثرة المشاعل والإضاءات المتوهّجة التي نصبها حازم على امتداد منهاجه ربما تسبّبت في بعض الارتباك الذي يُلمّ بقارئ المنهاج وهو ينتقل باستمرار بين هذه العنوانات الكبرى والصُّغرى المتلاحقة، ولا سيما العنوانات ذات الصياغات المطوّلة التي كان بالإمكان اختصارها والتعبير عنها بأسلوب أوضح؛ كقوله مثلًا: «معرف دالٌّ على طرق المعرفة بما يجب اعتماده في الفصول من جهة اشتمالها على أوصاف الجهات التي هي مسانح

(١) يُنظَر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس/٥٨١-٥٨٢.

أقناص المعاني ومعاضدة التخييل فيهما بالإقناع على الوضع الذي يليق بذلك ويحسُن به موقعه من النفوس»[١].

مصطلحات الكتاب:

لعلَّ أبرز ما ما يُلحَظ في هذه المسألة عند حازم هو جمعه بين المصطلحات البلاغية العربية، والمصطلحات الفلسفية اليونانية، فهو يتأسَّى بالبلاغيين السابقين له في الوقوف عند المصطلحات البلاغية المعروفة؛ مثل: المطابقة، والمقابلة، والتقسيم، والتفسير، والتفريع، والمبالغة والغلوّ، والتلاؤم وحُسن التأليف، والتضمين، وحُسن المطالع (الابتداء) وحُسن المقاطع (الختام)، وحُسن التخلُّص، والالتفات، والاستطراد[٢]، وهو في دراسته لهذه المصطلحات يترسَّم الحدود التي رسمها البلاغيون قبله لمفاهيمها وأقسامها، والفروق الدقيقة بينها؛ وإنْ كانت له بعض الآراء المتميّزة في هذا الجانب؛ مثل رأيه اللافت في أُسلوب الترقِّي الذي خالف به الرأي الشائع في أنَّ الترقِّي إنما يكون غالبًا من الأدنى إلى الأعلى، فقد رأى أنَّ الغالب والأفصح عكس ذلك؛ وإنْ رأى غير ذلك من لا يُميِّز قوانين صناعة الشعر[٣]، وكذلك رأيه المستقل في ظاهرة القلب التي توسَّع بعض اللغويين في تقريرها[٤].

---

(١) منهاج البلغاء/٢٩٢، ويُنظَر شواهد أخرى فيه أيضًا/٤٠، ٤٨، ٩٨، ١٣٠، ١٤٥، ١٩٩، ٢٢٦، ٢٧١، ٣٠٣، ٣٢٧، ٣٦٥.

(٢) تُنظَر دراسة حازم لهذه المصطلحات في منهاج البلغاء/٤٨-٦١ ، ١٣٣-١٤٣، ١٥٤-١٥٧، ٢٢٢-٢٢٥، ٢٧٦-٢٧٧، ٢٨٢-٢٨٦، ٣٠٤-٣٢٣.

(٣) يُنظَر: منهاج البلغاء/١٠١-١٠٤.

(٤) يُنظَر: المصدر السابق/١٧٩-١٨٤.

وفي الوقت نفسه، وبين هذه المباحث البلاغية الخالصة تجده يعقد مباحث متنوّعة لدراسة بعض المصطلحات الفلسفية المتعلِّقة بالشعر، وأهمُّها مصطلحا: المحاكاة، والتخييل اللذان أطنب في الحديث عنهما؛ محرِّرًا مفهوميهما، ومبيِّنًا طُرُق وقوعهما، وذاكرًا أقسامهما بعِدَّة اعتبارات، وكلُّ ذلك بتفصيل وتدقيق وطول نَفَس يُذكِّرنا بتقسيمات مدرسة السكَّاكي لفنّ التشبيه[١]، وقد بيَّن حازم سبب احتفائه بهذين المصطلحين حين قرَّر أنَّ التخييل -وهو ثمرة المحاكاة- هو المعتبَر في مفهوم الشعر؛ لأنَّ «الشعر: كلامٌ مخيِّلٌ موزون»[٢]، ويؤكد في موضع آخر هذه المنزلة الخاصة للتخييل في الشعر فيقول: «فالتخييل هو المعتبَر في صِناعته»[٣].

على أن تمييز حازم بين مصطلحي: المحاكاة، والتخييل لم يكن حاسمًا دائمًا، ففي بعض المواضع نراه يجمع بينهما في الوصف والأحكام، وكأنه يعدُّهما قرينين أو متداخلين في مفهوميهما[٤]، ومن هنا استنتج جابر عصفور ترادف المصطلحين عنده[٥]، وعدّ مصطفى الجوزو هذا التداخل دليلًا على اضطراب حازم وخلطه بين المصطلحين[٦]، بينما رأى يوسف الإدريسي أن بينهما فرقًا دقيقًا عند حازم يتمثّل في أن المحاكاة هي وسيلة التصوير، وأن التخييل هو

(١) يُنظَر في منهاج البلغاء/٨٩-١٢٩.

(٢) المصدر السابق/٨٩.

(٣) المصدر السابق/٧١.

(٤) يُنظَر: منهاج البلغاء/٩٢، ٩٧.

(٥) يُنظَر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور/٣٠١.

(٦) يُنظَر: نظريات الشعر عند العرب، مصطفى الجوزو ١/١٣٦.

غايته[١]، وكأنّ المحاكاة أعلق بصنعة الشاعر، والتخييل أعلق بأثرها في المتلقي[٢].

وبالإضافة إلى المصطلحات السابقة التي تابع فيها مَن سبقه ابتدع حازم مصطلحات جديدة لوصف بعض الظواهر الشعرية التي درسها، وقد صرَّح حازم بابتداعه مصطلحي (التسويم)، و(التحجيل)، وبيَّن أصل معنييهما في اللغة، وعلاقة ذلك بمُراده منهما في الشعر، وهو: وصف طريقة الشُّعَراء البارزين في التمهيد لكلِّ فصل من فصول القصيدة بالبيت المهيِّئ لموضوعه، فكأنه تسويمٌ له، وفي تذييل الفصل كذلك ببيت من الحِكْمة أو الاستدلال المناسب لموضوع الفصل، فكأنه تحجيلٌ له[٣].

وفي كتاب حازم كذلك كثير من المصطلحات العَروضية؛ بسبب دراسته المتمهِّلة للأوزان الشعرية وللقوافي، وقد خصَّص لها المنهج الثاني من القِسم الثالث في كتابه، ومن هنا أورد المصطلحات الخاصَّة بأسماء البحور الشعرية القديمة مِنها والمحدَثة، وكذلك المصطلحات المتعلِّقة بالأسباب والأوتاد التي تتكوَّن منها هذه البحور، وبالزِحافات والعِلَل التي تعرض لها، وكذلك الحال بالنسبة للمصطلحات الخاصَّة بالقوافي[٤]، وقد أضاف حازم إلى الحقل العَروضي مصطلحات جديدة ناتجة عن إعادته النظر في كثير من المصطلحات والمفاهيم والتقسيمات التي تداولها العَروضيُّون قبله، فقد عدَّ مثلًا إحدى الصُّوَر

---

(١) يُنظَر: مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين، يوسف الإدريسي/٢٨٠-٢٨٦.

(٢) يُنظَر: ظاهرة الشعر عند حازم القرطاجني، محمد الحافظ الروسي ٦٣٨/٢.

(٣) يُنظَر: منهاج البلغاء/٢٩٥-٣٠٢ .

(٤) يُنظَر: المصدر السابق/٢٢٦-٢٧٥.

التي اصطلح العَروضيون قبله على أنها من صُوَر وزن (مُخلَّع البسيط)، وهي صورة (مستفعلاتن مستفعلاتن)؛ عدَّ هذه الصورة وزنًا مستقِلًا ومختلفًا، وأطلق على هذا الوزن مصطلحًا خاصًّا، فقال: «ولنصطلحْ على تسميته باللاحق»[١].

أُشير أخيرًا إلى مصطلحات من نوع آخر تشيع في عبارات حازم على امتداد الكتاب، وهي المصطلحات والتعبيرات المنطقية التي تزيد من غموض أُسلوبه في بعض مباحث كتابه، ومِنها: (الإيجاب، والسلب، والعَرَض، والجوهر، والنِّسْبة، والامتناع، والإمكان، والوجوب، والاستحالة، والتطالب، والأقوال الاقتصادية، والأقوال التقصيرية، والحال الوسطى)[٢].

الشواهد وطريقة الاستشهاد في الكتاب:

من أقدم الملحوظات التي أُخِذتْ على كتاب حازم قِلَّة الشواهد فيه، فقد قال فيه ابن القَوبَع كلمته المشهورة التي أوردها ابن رُشَيد في كتابه عن رحلته، وهي: «ولمَّا وقفتُ على قوانينه ووعيتُها -وإنْ كان ترك التمثيل لها- صار كلُّ ما أقرأه وأنظر فيه من كلامٍ بليغ أو بديع؛ يصير كلُّه لي أمثلةً لتلك القوانين»[٣]، والواقع أنَّ حازمًا لم يترك التمثيل والاستشهاد جملةً في كتابه، فالكتاب يضمُّ شواهد كثيرة؛ ولكنَّ الإشكال أنه كان يستشهد للمسائل والأفكار الواضحة، وأحيانًا يُكثر من إيراد الشواهد فيها، وهي مسائل سبقه

---

(١) المصدر السابق/٢٥٦، ويُنظَر فيه أيضًا/٢٣٨.

(٢) يُنظَر: منهاج البلغاء/٣٨، ٤٤، ٦٢، ٧٦، ٧٨-٨٠، ١٣٧، ١٤٥.

(٣) مَلْء العَيبة بِما جُمِع بطول الغَيبة، لابن رُشيد/١١٧: أ (مخطوط في مكتبة الأسكوريال)، نقلًا عن: منهاج البلغاء (مقدِّمة المحقِّق)/٣٧، ١١٦.

إليها وإلى إيراد شواهدها كثير من البلاغيين[١]، ثم تجده عندما يعرض للمسائل والأفكار الدقيقة التي لا تصادفها عند غيره يُقلِّل -في الغالب- من الشواهد فيها، وقد لا يستشهد في كثير من هذه المواضع بأيِّ شاهد، وإنما هو كلام تنظيريٌّ جافّ مُرهِق لذهن القارئ الذي يحاول أن يتتبَّع المقصود من عباراته، وأنْ يهجس بمراده مِنها ظنًّا دون يقين[٢].

وقد أسهمتْ هذه الظاهرة في زيادة الغموض الذي يتَّسِم به أصلًا أسلوب حازم في مناقشته لهذه المسائل الدقيقة، وهو ما أشار إليه محمد أبو موسى حين قال: «ولم أقرأ كتابًا في البلاغة ولا في النحو يسكت سكوتًا كاملًا في بعض أبوابه عن الشاهد والمثال إلاَّ في هذا الكتاب؛ مع أنَّ مِن مظاهر افتقاد الكتاب للخُطَّة الواضحة والواحدة أنك تجد أحيانًا شواهد كثيرة يمكن أن يكتفيَ ببعضها لمسائل مشهورة ربما يُستغنَى فيها عن الشاهد لشيوعه، ثم تجد مسائل أُخرى شديدة الغموض، وليس لها مثال ولا شاهد يُعين على فهْمها، فتُضطرُّ إلى أنْ تفهمها على وجْهٍ من التوهُّم»[٣].

ومن هنا رأى بعض الباحثين أن كتاب حازم أقرب إلى أن يكون كتابًا في أصول البلاغة وفلسفتها[٤]، وليس في البلاغة التحليلية أو التطبيقية المعتادة،

---

(١) يُنظَر مثلًا في منهاج البلغاء/٤٨-٦١، ١٣٣-١٤٣، ١٤٩-١٦٦، ١٨١-١٩٦، ٣٠٧-٣٢٣.

(٢) تُنظَر هذه المواضع في المصدر السابق/١١-٤٣، ٦٢-١٢٩، ١٩٩-٢٢٥، ٣٣٧-٣٥٨.

(٣) تقريب منهاج البلغاء/١٣٤.

(٤) يُنظَر: منهاج البلغاء (تقديم الفاضل بن عاشور)/١٠، وظاهرة الشعر عند حازم القرطاجني ١/١٥٩.

«فالكتاب لا يهتمُّ بوضع معايير القول البليغ، بقدر اهتمامه باكتشاف أصول هذا القول، وأسباب الحسن فيه، فكان عمل الرجل تنظيريًّا بالأساس، لا يهتمّ بإيراد الأمثلة التطبيقية وتحليلها وبيان سرّ الجمال فيها»[١].

ومع أن ابن القَوبَع -كما ينقل ابن رُشيد في النص السابق- قد وصل استحضاره وفهْمه لقوانين حازم إلى أن يجد في كلِّ ما يقرأه من الكلام البليغ شواهد وأمثلة لهذه القوانين؛ فإن هذا الاستحضار ظلّ مقتصرًا عليه، إذْ لم يصل إلينا كتاب له يبيّن هذا الفهم والاستحضار، ولو فعل، فلربما كشف باجتهاده شيئًا من الغموض الذي يلفُّ كلام حازم في مواضع متعدِّدة من كتابه، ولاسيّما أن ابن القَوبَع قد وُصِف بأنه: «كان يتوقَّد ذكاء، ومهر في الفنون؛ حتى إذا صار يتحدَّث في شيء من العلوم تكلَّم في دقائقه وغوامضه؛ حتى يقول القائل: إنه أفنى عمره في ذلك»[٢]، كما أنه يتَّفق مع حازم في ثقافته الفلسفية، وقد قيل عنه: إنه كان كثير المطالعة لكتاب (الشفاء) لابن سينا، وله تآليف في تفسير القرآن وفي الشعر[٣].

وقد تنوَّعتْ شواهد حازم بين شواهد شعرية -وهي معظم شواهد الكتاب- وشواهد قرآنية أو إشارات لها[٤] -وهي قليلة- وشاهدين من الحديث

(١) مناهج البحث البلاغي عند العرب، عماد البخيتاوي/٣٢٨.

(٢) بغية الوعاة ٢٢٧/١، وطبقات المفسِّرين، شمس الدين الداوودي ٢٣٩/٢.

(٣) يُنظَر: بغية الوعاة ٢٢٧/١-٢٢٨، وطبقات المفسرين ٢٤٠/٢.

(٤) يُنظَر: منهاج البلغاء/٧٥ ، ١٨٣ . ١٨٤ .

الشريف والسيرة النبويَّة[١]، وشواهد نثرية متنوِّعة[٢]، وأمثلة نثرية مصنوعة[٣]، وهو يُورِد شواهده -في الغالب- كاملة؛ لكنَّه قد يجتزئ في بعض المواضع محلَّ الشاهد من البيت، ويكتفي بإيراده وحده[٤].

ولهذا الرجحان الكمّي للشواهد الشعرية في الكتاب دلالته الواضحة على أن بؤرة الانشغال البلاغي والنقدي عند حازم هي: الشعر، وليس الانشغالات الكلامية والإعجازية التي استقطبت جهود عدد كبير من البلاغيين السابقين والمعاصرين له كذلك، والذين لم يسلموا من انتقاده لمسلكهم؛ كما سيأتي في الفقرة القادمة.

مصادر حازم في كتابه، وموقفه من الآخر[٥]:

يمكن تصنيف أهمّ مصادر حازم في كتابه المنهاج في ثلاثة أقسام:

فالقِسم الأول: هو كُتُب البلاغيين والنقَّاد العرب السابقين له.

والقِسم الثاني: كُتُب الفلسفة والمنطق ؛ وبخاصَّة تلك التي ترجمتْ أو لخَّصتْ أو

---

(١) يُنظَر: المصدر السابق/٧٩ ، ١٦٧ .

(٢) يُنظَر: المصدر السابق/٣٠ ، ٥١ ، ٥٤ ـ ٥٥ ، ١٠٣ ، ١٥٥ ، ٢٧١ .

(٣) يُنظَر: منهاج البلغاء/١٥ ، ٣٦ ، ١٠٨ ، ١٣٧ .

(٤) يُنظَر: المصدر السابق/٣٦ ، ٥٧ ، ١٧٤ ، ٢٢٣ ، ٢٧٢ ، ٣١٢-٣١٤ .

(٥) تجتمع في كتاب حازم الدلالة اللغوية العامَّة للفظ (الآخر)، والدلالة الفكرية الخاصَّة له، فقد جمع حازم بين التشرُّب بالثقافة العربية والتأدُّب بآدابها، والإفادة من النقاد والبلاغيين (الآخرين)، وبين الاطِّلاع على شيء من المعارف عند (الآخر) المختلِف حضاريًّا، وبخاصة ما يتعلق بالفلسفة اليونانية، وقد كان له موقف مستقل من كل هؤلاء (الآخرين)؛ كما تبيّنه هذه الفقرة.

شرحتْ كتاب أرسطو في الشعر ، وبعض كُتُب سُقراط وأفلاطون.

والقِسم الثالث: تجربة حازم الشعرية، وخبرته الواسعة في هذا الميدان، واستقراؤه الذاتي للشعر العربي؛ لاستخراج قوانين الصناعة الشعرية منه، وهذا القِسم الأخير لا يحتاج إلى بسط وتفصيل؛ لوضوح الأمر فيه، وبروزه أمام عيني كلِّ مَن يقرأ كتاب حازم، ويُدرك ما فيه من أصالة وتفرُّد، وقد نوَّه كثير من الباحثين بهذا المصدر الذاتي لأفكار حازم، وأشاروا إلى تميُّزه في هذا الجانب، وأنه قد أثرى ووسَّع كثيرًا من الأفكار التي وجدها عند سابقيه، كما أضاف إليها أفكارًا جديدة[١]، والقِسمان: الأول، والثاني من مصادر حازم هما اللذان يحتاجان إلى وقفة متمهِّلة خاصَّة بكلٍّ منهما.

فأمَّا القِسم الأول من مصادر حازم، وهو: كُتُب البلاغيين والنقاد العرب السابقين له، فقد صرَّح حازم بالنقل عن بعضهم، وسكت عن آخرين، وأبرز البلاغيين والنقاد الذين نقل عنهم بكثرة وأعلى من شأنهم، وظهر تأثُّره الواضح ببحوثهم اثنان: قُدامة بن جعفر[٢] في كتابه (نقد الشعر)، وابن سنان الخفاجي[٣] في كتابه (سرّ الفصاحة)، وقد أشار محقِّق الكتاب وغيره إلى تأثُّر

(١) يُنظَر: منهاج البلغاء (مقدِّمة المحقِّق)/١١٥، ١١٧، وحازم القرطاجني ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة/٦، وتاريخ النقد الأدبي عن العرب/٥٧٧-٥٧٨ ، وحازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، سعد مصلوح/٤٦، وتقريب منهاج البلغاء/٤٧، ١١٦، ١٨٥، ٢٠١، ٢٠٥.

(٢) يُنظَر: منهاج البلغاء/٢٥، ٤٨، ٥٢، ٨٧، ١٤٠، ١٤١، ١٦٥-١٦٧، ١٦٨، ٣٣٦.

(٣) يُنظَر: المصدر السابق/٥٣، ١٣٨-١٣٩، ١٤٠، ١٤١-١٤٢، ١٤٦، ١٦٨، ١٨٢-١٨٣.

حازم بهذين الكتابين؛ وإن لم يُبيِّنوا بالتفصيل مواضع هذا التأثُّر[١]، وفي كتاب المنهاج كذلك إشارات ونقول قليلة لآراء عُلَماء آخرين؛ مثل: الخليل بن أحمد[٢]، والجاحظ[٣]، وأبي الفرج الأصفهاني[٤]، وأبي علي القالي[٥]، والآمدي[٦].

ويبدو أنَّ حازمًا قد سكت عن بعض المصادر البلاغية التي رجع إليها، وظهر أثرها في كتابه، وهو بالجملة ميّال أكثر إلى حكاية آراء البلاغيين والنقاد السابقين له، وتلخيص مواقفهم واختلافاتهم، دون التصريح بأسمائهم، كما صنع مثلًا في مسألة الصدق والكذب في الشعر[٧]، وفي مسألة استعمال الألفاظ الجافية في الشعر[٨]، وفي مسألة المفاضلة بين الشعراء[٩]، وعند تناوله لأسلوب القلْب[١٠]، ولأسلوب السجع كذلك[١١].

---

(١) يُنظَر: المصدر السابق (مقدِّمة المحقِّق)/١١٥، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب/٥٧٩-٥٨٠، وتقريب منهاج البلغاء/١٣٤-١٣٥.

(٢) يُنظَر: منهاج البلغاء/١٤٣-١٤٤.

(٣) يُنظَر: المصدر السابق/٨٧، ١٣٨، ١٩٢.

(٤) يُنظَر: المصدر السابق/٣٧٧.

(٥) يُنظَر: منهاج البلغاء/١٥٣.

(٦) يُنظَر: المصدر السابق/١٦٨.

(٧) يُنظَر: منهاج البلغاء/٧٥، ٨٣، ٨٦-٨٧.

(٨) يُنظَر: المصدر السابق/١٥٢.

(٩) يُنظَر: المصدر السابق/٣٧٨.

(١٠) يُنظَر: منهاج البلغاء/١٧٩-١٨٢.

(١١) يُنظَر: المصدر السابق/٣٨٨.

وقد توسَّع بعض الباحثين في تقدير هذه المصادر المسكوت عنها، فذكروا أنَّ حازمًا قد يكون تأثَّر بكُتُب: ابن قتيبة، وابن طباطبا، وأبي هلال العسكري، وابن رشيق، وابن الأثير[1]، وعلى خلاف هؤلاء الباحثين رجَّح محمد أبوموسى أنَّ حازمًا ضعيف الصِّلة بالتراث البلاغي الذي سبقه، وأنَّ قِلَّة اطلاعه على هذا التراث هي التي جعلتْه يُصدِر أحكامًا غير دقيقة على جهود البلاغيين السابقين له؛ كقوله: إنهم تكلَّموا في ظواهر هذه الصناعة؛ دون روحها وجوهرها[2].

وأبعد من هذا أن يكون حازم قد اطَّلع على بحوث عبد القاهر الجرجاني البلاغية وتأثَّر بها، فليس في كتابه ما يُظهِر هذا التأثُّر، وبحوث عبد القاهر وأفكاره البلاغية هي من القوَّة والتميُّز بحيث تدلُّ على نفسها، ومع هذا فقد اتَّجه بعض الباحثين إلى تقرير هذا التأثُّر، فربط بين فكرة (معنى المعنى) عند عبدالقاهر، وفكرة (المعاني الأوائل والمعاني الثواني) عند حازم؛ مع إقراره أنَّ المقصود بكلٍّ منهما متباين عند الرجلين، كما أشار إلى تقارب موقفهما في التقليل من شأن السرقات الشعرية؛ لأنَّ نظرية النظْم عند عبدالقاهر تنفي اتحاد المعاني مع تفاوت النظْم، وحديث حازم عن المعاني الجمهورية في الشعر وأنَّ معظم معاني الشعر مستمدَّة منها يُشير إلى أنَّ المعاني إرثٌ مشترك بين

---

(١) يُنظَر: منهاج البلغاء (مقدِّمة المحقِّق)/١١٥، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب/٥٦٧، وظاهرة الشعر عند حازم القرطاجني ١٤٦/١-١٥٢، ونظرية الشعر عند حازم القرطاجني ومصادرها العقلية والنقلية، عبد الفتَّاح عثمان، حوليات كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ع١٣، ١٩٩١م/٩١-٩٣.

(٢) يُنظَر: تقريب منهاج البلغاء/٤١ . ٤٢، ١٩٠، ٢٠٨، وسبق الاستشهاد بنصّ حازم هذا في فقرة: بواعث التأليف.

الشُّعَراء[١]، وعلى النقيض من هذا جزم محمد أبوموسى بعدم اطِّلاع حازم على بحوث عبد القاهر، واستدلَّ على هذا بتباين منهجي الرجلين تباينًا شديدًا في تناولهما لمسائل بلاغية ونقدية معيَّنة[٢].

ويظهر أنَّ قِلَّة اطِّلاع حازم على التراث البلاغي السابق له -وبخاصَّة الإعجازيّ منه- عائدٌ إلى موقفه المبدئيّ الرافض لدخول المتكلِّمين في حقل الصناعة الشعرية، ويبدو أنه قرأ بعض بحوثهم في البلاغة، فلم تُرُقْ له، ورأى أنَّهم تورَّطوا في الحديث عن صناعة لا يُتقنونها؛ بسبب احتياجهم إليها عند الحديث عن إعجاز القرآن، فيُلِمُّون بها دون تمكُّن منها، ثم يتكلمون فيها بما هو محض الجهل بها؛ على حدِّ تعبيره، ومن هنا هاجمهم هجومًا لاذعًا في كتابه، وحمَّلهم مسؤولية الترويج لبعض الأفكار الخاطئة في تصوُّر الشعر، ومِنها: أنَّ الشعر يقوم على الكذب[٣]، وأظنُّ أنَّ حازمًا لو كان قد اطَّلع على بعض البحوث الإعجازية المتميِّزة التي كتبها بعض المتكلِّمين السابقين له؛ ولا سيما عبدالقاهر الجرجاني، والزمخشري؛ لربما قلَّل من حِدَّة هذا الهجوم الموجَّه ضِدَّهم.

وأمَّا القِسم الثاني من مصادر حازم، وهو (كُتُب الفلسفة والمنطق)؛ وبخاصَّة تلك التي ترجمتْ أو لخَّصتْ أو شرحتْ كتاب أرسطو في الشعر، وبعض كُتُب سُقراط وأفلاطون؛ فكتابه يحمل شواهد واضحة على تأثُّره بها،

---

(١) يُنظَر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب/٥٧٨-٥٧٩.

(٢) يُنظَر: تقريب منهاج البلغاء/٩٥، ١٦٢. وفي الحديث عن وجوه التباين بين منهجي الرجلين في تناول المسائل البلاغية يُنظَر كذلك: كتاب أرسطوطاليس في الشعر/٢٧٤، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب/٥٧٨.

(٣) يُنظَر: منهاج البلغاء/٨٦-٨٧ .

وتزوُّده مِنها، وحازم يُشير بوضوح إلى بنائه بعض مباحثه: «على ما أصَّله أهل صناعة المنطق؛ كابن سينا وغيره»[١]، كما يحضُّ قارئه على أنْ يصعد معه إلى: «مِرقاة البلاغة المعضودة بالأُصُول المنطقية والحِكْمية»[٢]، وفي مواضع متعدِّدة من الكتاب يتحوَّل حازم إلى شارح ومستنبِط ومفصِّل لنصوص ابن سينا الواردة في تلخيصه لكتاب الشعر لأرسطو[٣]، كما استعان حازم كذلك بنصوص الفارابي في الشعر[٤]، أمَّا تلخيص ابن رشد لكتاب الشعر لأرسطو فلم يستشهد حازم بأيٍّ من نصوصه في الكتاب؛ مع أنَّ ابن رشد هو شيخ شيخه أبي علي الشلوبين، ومن المستبعَد ألَّا يكون قد اطَّلع على هذا التلخيص، وقد اجتهد بعض الباحثين المعاصرين في هذه المسألة، فذكروا أسبابًا متعدِّدة لهذا الإغفال[٥].

وقد بيَّن حازم موقفه من كتاب الشعر لأرسطو، فأشار إلى ما فيه من خلل ونقص، وعلَّل ذلك بأنَّ أرسطو استمدَّ قواعد كتابه من أشعار اليونانيين، وهي ذات أغراض محدودة، وأنه لو اطَّلع على أشعار العرب، ورأى تفنُّنهم في

---

(١) المصدر السابق/٦٤.

(٢) المصدر السابق/٢٣١ ، ويُنظَر فيه أيضا/٢٤٤.

(٣) يُنظَر: منهاج البلغاء/٦٩-٧٠، ٧٤، ٧٨، ٨١، ٨٣-٨٦، ٩٢، ١١٦-١١٨، ١٢٤، ١٢٥، ٢٦٦.

(٤) يُنظَر: المصدر السابق/٨٦، ١٢٣.

(٥) يُنظَر: حازم القرطاجني ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة/٢-٣ ، ومنهاج البلغاء (مقدِّمة المحقِّق)/١١٨، وحازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر/٥٢-٥٥، وتقريب منهاج البلغاء/٢٦٣.

الحِكَم والأمثال والاستدلالات، وضروب إبداعهم وتصرُّفهم في المعاني؛ لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية[١]، كما استشهد بنصوص للفيلسوفين اليونانيين: سقراط، وأفلاطون[٢] يبدو أنه استقاها من ترجمات لكُتُبهم، وفي الكتاب شواهد أُخرى واضحة على تأثُّر حازم بكُتُب الفلسفة والمنطق وبآراء أرسطو الواردة في كتابه عن الشعر[٣]، ومن هنا مال معظم الباحثين إلى تقرير تأثُّر حازم في كتابه هذا بالفلسفة اليونانية، وآراء أرسطو في الشعر على وجه الخصوص[٤].

أمَّا محمد أبو موسى فقد أنكر وجود هذا التأثر، وبذل جهدًا كبيرًا في مناقشة هذه المسألة؛ رافضًا القول الذي ردَّده كثير من الباحثين المعاصرين، وهو أنَّ حازمًا مزج بين البلاغتين: العربية، واليونانية، واحتجَّ لرأيه هذا بحجج كثيرة لا يسع ذِكْرها هنا، وإنْ كانت تستحقُّ التأمُّل، مع موازنتها برأيه المختلف في مؤلّفاته الأقدم[٥].

---

(١) يُنظَر: منهاج البلغاء/٦٨-٦٩.

(٢) يُنظَر: المصدر السابق/١١٩، ٣٣٠.

(٣) يُنظَر: المصدر السابق /١٥ ، ١٩ . ٢٠ ، ٣٦ ، ٦٢ . ٧١ ، ٧٦ . ٧٨ ، ١٤٥ ، ٢٦٦ ، ٣٢٧ . ٣٣٥ .

(٤) يُنظَر: منهاج البلغاء (مقدّمة المحقّق)/٣٢، ٩٨-٩٩، ١٠٣، ١٠٨، ١١٨، وحازم القرطاجني ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة/٢-٥، وكتاب أرسطوطاليس في الشعر/٢٤٤-٢٤٦، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧٤-٢٧٧، وحازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر/٤٦-٤٨، ٥٠، ونظرية الشعر عند حازم القرطاجني ومصادرها العقلية والنقلية/٧٥-٧٦، ٩٦.

(٥) يُنظَر: تقريب منهاج البلغاء/٣، ٢٠-٢٢، ٢٩-٣١، ٤٨، ٤٩، ٦٤، ٦٥، ٧٤-٧٧، ٨٠، ١١٦، ١٣١، ١٣٤-١٣٥، ١٨٥، ٢١٢، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٨، ٢٤١-٢٤٧، ٢٨١-٢٨٤، ويُقارن برأيه المختلف حول هذه المسألة في كتابه الأقدم: التصوير البياني/١٣٥، فقد أقرّ هناك بأنّ حازمًا: «درس أرسطو واستوعبه... وكان لذلك أثر واضح في منهجه وعبارته».

ولعلّ مبالغة بعض الكتّاب المعاصرين في ادعاء تأثير كتاب أرسطو على معظم البلاغيين العرب، وتمحُّلهم في إثبات هذا التأثير تمحُّلًا غريبًا[1] هي التي دفعت محمد أبوموسى إلى إنكار مسألة التأثُّر بالجملة؛ حتى عن حازم القرطاجني، ولكنْ هناك فارق كبير بين الادعاء بتأثُّر معظم البلاغيين العرب بكتاب أرسطو، وعلى رأسهم مؤسِّسو البيان العربي: الجاحظ، وابن المعتزّ، وعبدالقاهر الجرجاني؛ كما ذهب إلى ذلك طه حسين مثلًا[2]، وبين القول: إنَّ هذا التأثُّر اقتصر على فئة قليلة من هؤلاء البلاغيين، ومِنهم: حازم القرطاجنّي الذي تنطق عباراته وأفكاره واقتباساته في كتابه بهذا التأثُّر.

(١) يُنظَر على سبيل المثال: بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، إبراهيم سلامة/٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٩-٢٧٠، ٢٨٦.

(٢) يُنظَر: مقدمة طه حسين لكتاب نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر/١١-١٩، ٢٨-٣١.

المبحث الثاني: وجوه الاتصال بين كتاب حازم والرؤية النقدية الحديثة

ابتداءً فإنَّ النظر الأولي في كتاب حازم يُشعِر القارئ بقُربه من طبيعة التفكير والتأليف النقديّ المعاصر، فالكتاب أولًا مقسَّم بطريقة منهجية صارمة يعرفها كلُّ من قرأ الكتاب، ورأى هذه التسميات الخاصَّة التي وضعها حازم بحرص شديد لتمييز فُصُول كتابه ومباحثه وفِقْراته: (منهج، مَعْلَم، مَعرِف، مأمّ، إضاءة، تنوير).

كما أنَّ الكتاب ثانيًا يمتاز بشمولية النظر النقديّ، وباستيعابه – كما يقول إحسان عبَّاس– لـ«أكثر المشكلات النقدية التي عرضتْ للنقد الأدبي على مرّ الزمن؛ من خلال منهج قائم على نوع من المنطق الخاصّ بصاحبه؛ ولكنه منهجٌ شُموليّ أيضاً لا يُغفِل أبدًا ثلاثية هامّة كان النقَّاد يكتفون بالنظر إلى واحد دون الآخر من أضلاعها، وتلك هي: الشاعر، والعملية الشعرية، والشعر، وقد أولى حازم هؤلاء الثلاثة عناية متساوية على وجه التقريب»[(١)]، كما أنه لم يغفل وهو يقدّم هذه الرؤية النقدية المتكاملة للشعر عن أن يحقق التوازن «بين العناصر الأربعة التي لا يمكن اكتمال أية نظرية في الشعر دونها، أعني: العالم الخارجي، والمبدع، والنص، والمتلقي»[(٢)].

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب/٥٧٧، ولعلَّه يقصد بالعملية الشعرية حديث حازم المفصَّل عن مراحل إبداع القصيدة والخطوات التي يسلكها الشاعر في نظمها، وسيأتي التنبيه إلى هذه المسألة بإذن الله.

(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب/٥٧.

كذلك فإنَّ الكتاب ثالثًا يُظهر اطِّلاع صاحبه على ثقافات أُخرى غير عربية (يونانية على وجه الخصوص)، وقد استعان ببعض نظرات أرسطو في الشعر؛ ليؤسِّس ما سمَّاه: «البلاغة المعضودة بالأُصُول المنطقية والحِكْمية»[1]، وهو التأسيس الذي لم يكن قائمًا على التقليد الأعمى والانبهار بما عند الآخرين، بل هو التأسيس القائم على الفرز والانتخاب واختيار الأصلح، والوعي بطبيعة البلاغة العربية وامتيازها بخصائص ذاتية مختلفة عن البلاغة اليونانية، وهو ما جعله ينتقد عمل أرسطو في كتابه عن الشعر، ويُشير إلى ما فيه من خلل وقصور، وأنَّ سبب ذلك اعتماده على أشعار اليونانيين، وهي ذات أغراض محدودة، ولو كان أرسطو اطَّلع على أشعار العرب، ورأى تفنُّنهم في الحِكَم والأمثال والاستدلالات، وضروب إبداعهم وتصرُّفهم في المعاني؛ لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية[2].

وما يهمُّنا هنا هو تقرير هذه السِّمات العامَّة التي تتَّسِم بها جهود حازم النقدية في كتابه هذا، وهي: البناء المنهجي الدقيق للكتاب، وشمولية النظر النقديّ، والإفادة من الثقافات الأُخرى، وهذه السِّمات الثلاثة هي من أوضح خصائص النقد الحديث.

أمَّا الآراء والمسائل النقدية التفصيلية التي يلتقي حازم فيها، أو

---

(١) منهاج البلغاء/٢٣١ ، ويُنظَر في الكتاب مواضع تأثُّره بالمنطق والفلسفة اليونانية، وبآراء أرسطو في الشعر على وجه الخصوص/١٥، ١٩-٢٠، ٣٦، ٦٢-٧١، ٧٦-٧٨، ١١٩، ١٤٥، ٢٦٦، ٣٢٧-٣٣٥.

(٢) يُنظَر: منهاج البلغاء/٦٨-٦٩.

يتقاطع مع النقد الأدبي الحديث، فيمكن الإشارة هنا إلى عدد من الآراء والمسائل المهمّة في هذا المجال؛ لكن لا بدَّ في البدء من التذكير بأنَّ حازمًا في بعض هذه الآراء قد تأثَّر بلا ريب بمن سبقوه، وقد يكون استقى بعض هذه الآراء من المصادر الفلسفية التي كان يرجع إليها؛ وبخاصَّة كُتُب الفلاسفة العرب الذين لخَّصوا أو شرحوا كتاب أرسطو في الشعر، وعلى رأسهم: ابن سينا، صحيحٌ أنَّ حازمًا لم يكن ناقلًا لهذه الأفكار فحسب، بل توسَّع في إثباتها، وبنى عليها؛ ولكنَّ هذا لا يمنع من تقرير هذا التأثُّر، وسأسرد هنا هذه المسائل مجملةً، ثم سأنتقل لتفصيل الحديث عن كلٍّ منها بعد ذلك، وهي على النحو الآتي:

١- تعريف المعنى.

٢- مفهوم الشعر وارتباطه بالتخييل.

٣- الموقف من الغموض في الشعر، ومن الإغراب والتعجيب فيه.

٤- الاهتمام بالمتلقِّي.

٥- العناية بمفهوم الأُسلوب.

٦- النظر الكُلِّي للقصيدة، وتقسيمها إلى فصول متتابعة.

٧- الاحتفاء بالتجربة الشعرية، والاعتناء بمراحل إبداع القصيدة.

١ – تعريف المعنى:

وهذه المسألة تتصل ببعض الاتجاهات الشكلية الحديثة في النقد الأدبي التي تأسَّستْ على منجزات عِلْم اللغة الحديث عند دي سوسير وتلاميذه، ومِن هذه المنجزات: حديثهم عن بعض الثنائيات اللغوية، ومِنها ثنائية: الدالّ، والمدلول(١)، وقد وجدتُ عند حازم تعريفًا للمعنى يقترب إلى حدٍّ كبير من تعريف هذه المدرسة للمدلول، وفيه يُشير إلى المعاني باعتبارها مدلولات ذهنية ، وإلى الدالّ بنوعيه: الملفوظ، والمكتوب، وفي هذا يقول: «إنَّ المعاني: هي الصُّوَر الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، فكلُّ شيء له وجود خارجَ الذِّهْن فإنه إذا أُدرِك حصلتْ له صورة في الذِّهْن تُطابق لِما أُدرِك مِنه، فإذا عبَّر عن تلك الصورة الذّهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظُ المعبَّر به هيئةَ تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم ، فصار للمعنى وجودٌ آخر من جهة دِلالة الألفاظ، فإذا احتيج إلى وضع رسوم من الخطّ تدلُّ على الألفاظ مَن لم يتهيَّأ له سمعها من المتلفِّظ بها، صارت رسوم الخطّ تُقيم في الأفهام هيئات الألفاظ، فتقوم بها في الأذهان صُوَرُ المعاني، فيكون لها أيضًا وجودٌ من جهة دِلالة الخطّ على الألفاظ الدالّة عليها»(٢).

---

(١) يُنظَر في تعريف هذين المفهومين والحديث عنهما: الأسلوبية والأسلوب، عبدالسلام المسدي/١٥٣، والخطيئة والتكفير، عبدالله الغذامي/٤٤-٤٥.

(٢) منهاج البلغاء/١٨-١٩.

فالمدلول أو المعنى عند حازم هو كما قال: صورة حاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان، أمّا الدالّ فهو: التعبير عن هذا المدلول الذهني من خلال اللفظ المنطوق حينًا، أو من خلال الرسم المكتوب الذي يحاكي اللفظ المنطوق حينًا آخر، وعبر هذه العلاقة المتسلسلة بين الدالّ والمدلول يتحقق للمعنى ثلاثة أشكال متوازية من الوجود، وهي: الوجود الذهني، والوجود اللفظي المسموع، والوجود الكتابي المرسوم، وكأنّ الوجود العينيّ للأشياء في الواقع لا يحمل في حدّ ذاته (معنى) عند حازم قبل تحقّق التفاعل البشري معه من خلال تشكّل صورة ذهنية عنه في عقل إنسان، وهكذا فانبثاق المعنى إنما يتحقق من خلال المرور عبر أضلاع هذا المثلث المترابط: (الشيء، والذهن، والصورة المعنوية الحاصلة من تفاعلهما)، وهو ما يذكّرنا بالمثلث الدلالي عند دي سوسير(١).

٢ – مفهوم الشعر وارتباطه بالتخييل:

على الرغم من تأثُّر حازم الواضح بقدامة بن جعفر، فإنه لم يُتابعه في تعريفه المنطقيّ المشهور للشعر، وهو أنه: «قولٌ موزون مقفًّى يدلُّ على معنى»(٢)، فقد انتقد هذا التصوُّر الناقص للشعر عند بعض مَن: «ظنَّ أنّ كلَّ كلام مقفًّى موزون شعر»(٣)، وقدَّم مفهومًا مغايرًا للشعر قائمًا على مراعاة أهمِّ خصائص الشعر، وهي: التصوير، أو ما سمَّاه: التخييل؛ متأثِّرًا في

(١) يُنظَر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين/١٤٦.

(٢) نقد الشعر، قدامة بن جعفر/١٧.

(٣) منهاج البلغاء/٢٧، وقد كرَّر حازم هذا الانتقاد في مواضع عِدَّة من كتابه/٢٦ ، ٢٨ ، ١٢٥.

هذا ببحوث الفلاسفة السابقين له في هذه المسألة؛ وبخاصة ابن سينا، وفي تقرير هذا يقول: «الشعر: كلام مخيِّل موزون مختصٌّ في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك، والتئامه من مقدِّمات تخييلية، صادقةً كانت أو كاذبة، لا يُشترَط فيها -بما هي شعر- غير التخييل»(١).

ولأجل هذا عقد حازم مباحث واسعة في كتابه لتحرير مفهوم التخييل مع المفهوم المقارن له، وهو مفهوم المحاكاة(٢)، وقد بذل حازم جهدًا كبيرًا في كتابه لتبديد الوهم الذي شاع عند كثير من البلاغيين السابقين له، وهو أنَّ الشعر مبنيٌّ على الكذب، وبيَّن بوضوح أنَّ كلًا من الصدق والكذب واردٌ في الشعر، وأنَّ الصدق فيه أكثر؛ لأنه أحرى بقبول المتلقِّين له وتأثُّرهم به؛ ولكنَّ كلًا من الصدق والكذب ليس محدِّدًا من محدِّدات الشعر، إذ المحدِّد الأساسي لمفهومه هو أنه قائمٌ على التخييل، فقد يكون الشعر صادقًا، وقد يكون كاذبًا؛ ولكنه دائمًا وفي كلتا الحالتين مُخيِّل: «إذْ ما تتقوَّم به الصناعة الشعرية -وهو التخييل- غير مناقِض لواحد من الطرفين؛ فلذلك كان الرأي الصحيح في الشعر أنَّ مقدِّماته تكون صادقة، وتكون كاذبة، وليس يُعَدُّ شعرًا من حيث هو صدق، ولا من حيث هو كذب، بل من حيث هو كلام مخيِّل... فالتخييل هو المعتبَر في صناعته، لا كون الأقاويل

(١) منهاج البلغاء/٨٩، وفي الكتاب تعريف آخر للشعر مقارب لهذا التعريف/٧١.
(٢) يُنظَر: المصدر السابق/٨٩-١٢٩.

صادقة أو كاذبة»[١]. وهذا الاستبعاد الحاسم لثنائية الصدق والكذب عن مفهوم الشعر، من خلال التركيز على وظيفة التخييل فيه هو من إنجازات حازم النقدية التي تجاوز بها الجدل النقدي الممتد قبله[٢].

وقد أشاد عدد من الباحثين المعاصرين بهذا التصوُّر الشامل للشعر عند حازم، وربطه الحاسم بين الشعر والتصوير، وعدُّوا تعريفه للشعر أنضج تعريف للشعر في تراثنا النقدي؛ من حيث تضمُّنه العناصر الأساسية لمفهوم الشعر[٣]؛ مع الإشارة إلى تأثُّر حازم في هذا التعريف بكلام ابن سينا قبله[٤]. وهذا الربط الوثيق بين مفهوم الشعر وعنصر التصوير هو من الأمور المقرَّرة في النقد الأدبي الحديث[٥].

---

(١) المصدر السابق/٦٣، ٧١، ويُنظَر بحث حازم المستوفي لهذه المسألة على امتداد الصفحات/٦٢-٨٩، ١٣٦.

(٢) يُنظَر: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها/٥٠٧.

(٣) يُنظَر: مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور/١٣، والمرايا المقعّرة، عبدالعزيز حمودة/٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٥٠، ونظرية الشعر عند حازم القرطاجني ومصادرها العقلية والنقلية/٧٦-٧٧.

(٤) يُنظَر: نظرية الشعر عند حازم القرطاجني ومصادرها العقلية والنقلية/٧٦-٧٧.

(٥) يُنظَر: النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال/٣٧٦-٣٧٩، ٤١٠-٤٦٠، وفي النقد الأدبي، شوقي ضيف/١٦٧-١٧٥.

٣- الموقف من الغموض في الشعر، ومن الإغراب والتعجيب فيه:

عقد حازم عِدَّة مباحث في كتابه للحديث عن الغموض في الشعر، وعن أسباب وقوعه؛ من جهة المعاني، أو من جهة العبارات الدالَّة على المعاني، أو من الجهتين معًا، وقد فصَّل القول في هذه المسألة تفصيلًا يندر وجوده عند غيره من النقَّاد العرب، وتُعَدُّ دراسته هذه من أوسع الدراسات التي دارت حول الغموض وأسبابه في نقدنا القديم(١)، وقد قرَّر حازم فيها بوضوح أنَّ أكثر مقاصد الكلام تقتضي الإعراب والوضوح والتصريح؛ لكن قد يُقصَد في بعض المواضع الإغماض والإبهام لنُكْتة تقتضيها مقاصد الكلام وضروبه، ثم توقَّف عند بعض الظواهر المسبِّبة للغموض؛ مثل الاشتراك، والقلب، والتعقيد اللفظي، ولأنَّ الوضوح مطلب أساسي لفهْم الشعر عند حازم مضى يُرشد الشعراء إلى بعض الحِيَل التي تكشف الغموض وتُبيِّن المعاني عند الاضطرار إلى التعبير عن بعض المعاني العميقة أو الخاصَّة، أو استخدام بعض العبارات المجمَلة(٢).

وكأنَّ حازمًا يرى أنَّ الأصل أنْ يكون الشعر واضحًا؛ إلاَّ أن يكون المعنى المعبَّر عنه دقيقًا في نفسه، فيُستساغ غموضه؛ بشرط أن يتحيَّل الشاعر له من الحِيَل ما يُقرِّبه إلى القارئ قدر الإمكان، فلا يكون غموضه مطبقًا،

---

(١) يُنظَر: موقف حازم من قضية الغموض في الشعر مقارنًا بمواقف النقَّاد السابقين، محمد الهدلق، مجلة جامعة الملك سعود، مج٤، الآداب(٢)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م/٣٣٧ ، ٣٤٤ ، ٣٦٠ .

(٢) يُنظَر حديث حازم في هذه المسألة في منهاج البلغاء/١٧٢-١٨٧، ٢٢٣.

وبهذا يتبيَّن أنَّ حازمًا نصير للوضوح في الشعر، ومنحاز له، وهذا ما قرَّره عدد من الباحثين المعاصرين[١] . وفي مسلك حازم هذا شاهد على أنَّ الوضوح مطلب أساسي عند العرب، وهو من الخصائص الأصيلة للفِكْر والأدب العربيين[٢]، وأنَّ الغموض الذي يقبله بعض نقَّادنا القدامى؛ مثل حازم القرطاجني ، ويحتفي به بعضهم؛ مثل أبي إسحاق الصابي[٣]، وعبدالقاهر الجرجاني[٤] هو الغموض النسبي الذي يشفُّ عن المعنى، ولا يُطبِق عليه[٥]، وهذا الغموض النسبي المعتدِل هو ما دعا إليه أيضًا عدد من أعلام النقد الأدبي الحديث[٦].

أمَّا مسألة الإغراب والتعجيب في الشعر، فموقف حازم مِنها مختلف، فقد احتفى بها غاية الاحتفاء، وجعل اشتمال الشعر على الإغراب من مكمِّلات مفهومه، فقد قال بعد أن عرَّف الشعر: «وكلُّ ذلك يتأكَّد بما يقترن به من إغراب، فإنَّ الاستغراب والتعجُّب حركة للنفس إذا اقترنتْ

---

(١) يُنظَر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب/٥٦٢-٥٦٣، وموقف حازم من قضية الغموض في الشعر/٣٣٥، ٣٤٤-٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥١-٣٥٢ ، ٣٦٠.

(٢) يُنظَر: من صيد الخاطر في النقد الأدبي، وليد قصَّاب/٥٧-٥٩.

(٣) يُنظَر: رسالة في الفرق بين المترسِّل والشاعر، أبو إسحاق الصابئ، ضمن كتاب: رسائل تراثية في النقد والبلاغة/٧١-٧٣، ويُقارن بما في: موقف حازم من قضية الغموض في الشعر/٣٤٩-٣٥١.

(٤) يُنظَر: أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني/١٣٩-١٤٨، ويُقارن بما في: موقف حازم من قضية الغموض في الشعر/٣٥٣-٣٥٥.

(٥) يُنظَر: من صيد الخاطر في النقد الأدبي/٦٤-٦٥ ، ٧٣-٧٤ .

(٦) يُنظَر: النقد الأدبي الحديث/٤١٨-٤٢٧، وفي النقد الأدبي/١٢٩-١٣٧.

بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثُّرها»[١] . وجعل حازم الغرابة من الصفات الأساسية التي يتميّز بها جيّد الشعر من رديئه[٢]، كما جعل الصورة الخيالية (التخييل) مرتبطة بالغرابة والتعجيب، وفي هذا يقول: «والقول المخيّل قلَّما يخلو من التعجيب، بل كأنه مستصحِبٌ له من أقلِّ ما يمكن من ذلك في القول المخيِّل إلى أكثر ما يمكن»[٣]، ويقول: «وكلَّما اقترنت الغرابة والتعجيب بالتخييل كان أبدع»[٤].

وقد بيَّن حازم مُراده من التعجيب المطلوب في الشعر، والأساليب التي يسلكها الشُّعَراء لتحقيقه، فقال : «ويُحسِّن موقع التخييل من النفس أن يُترامَى بالكلام إلى أنحاء من التعجيب، فيقوى بذلك تأثُّر النفس لمقتضى الكلام، والتعجيب يكون: باستبداع ما يُثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقِلُّ التهدِّي إلى مثلها، فورودها مُستندَر مُستطرَف لذلك؛ كالتهدِّي إلى ما يقلّ التهدِّي إليه من سببٍ للشيء تخفى سببيته، أو غاية له، أو شاهد عليه، أو شبيه له، أو معاند، وكالجمع بين مفترقين من جهة لطيفة قد انتسب بها أحدهما إلى الآخر، وغير ذلك من الوجوه التي من شأن النفس أن تستغربها»[٥].

---

(١) منهاج البلغاء/٧١.

(٢) يُنظَر: المصدر السابق/٧١، ٧٢.

(٣) المصدر السابق/١٢٧.

(٤) منهاج البلغاء/٩١ .

(٥) المصدر السابق/٩٠.

ثم يُبيِّن حازم الأثر النفسي الذي يُحدثه الإغراب والتعجيب في نفس المتلقِّي، فيقول: «وللنفوس تحرُّك شديد للمحاكيات المستغربة؛ لأنَّ النفس إذا خُيِّل لها في الشيء ما لم يكن معهودًا من أمر معجِب في مثله وجدتْ –من استغراب ما خُيِّل لها مِمَّا لم تعهده في الشيء– ما يجده المستطرِف لرؤية ما لم يكن أبصره قبل... وفنون الإغراب والتعجيب في المحاكاة كثيرة، وبعضها أقوى من بعض، وأشدُّ استيلاءً على النفوس وتمكُّنًا من القلوب»(١).

ويصل حازم بعد هذا إلى السرّ النفسي الذي يُعطي الإغراب هذه المكانة في الشعر، ويجعله قادرًا على جذب المتلقِّي وأسْره، وليس هذا السرّ سوى عنصر المفاجأة الذي ينطوي عليه الإغراب، وفي هذا يقول بعد أنْ يُقسِّم التشبيه قِسمين: «القِسم الأول: هو التشبيه المتداوَل بين الناس، والقِسم الثاني: هو التشبيه الذي يُقال فيه: إنه مخترَع، وهذا أشدُّ تحريكًا للنفوس إذا قدَّرنا تساوي قوة التخييل في المعنيين؛ لأنها أنستْ بالمعتاد، فربَّما قلَّ تأثُّرها له، وغير المعتاد يفجؤها بما لم يكن به لها استئناس قطّ، فيُزعجها إلى الانفعال بديهًا؛ بالميل إلى الشيء والانقياد إليه، أو النُّفْرة عنه والاستعصاء عليه»(٢). وعلى امتداد الكتاب يستمرُّ حازم في ربط الشعر والتخييل فيه بالإغراب والتعجيب والاستجداد والإبداع(٣)، وكلام حازم في

---

(١) منهاج البلغاء/٩٦.

(٢) المصدر السابق، الموضع ذاته.

(٣) يُنظَر: منهاج البلغاء/٨٤، ٨٦، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ٢١٥-٢١٦، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٩١، ٢٩٥.

هذه المسألة يقترب إلى حدٍّ كبير من كلام النقَّاد المعاصرين -وبخاصَّة أصحاب الاتجاه الأُسلوبي- عن تميُّز اللغة الشعرية بالخروج عن النمط العادي للكلام، وعدولها عن التعبيرات المألوفة؛ لتتمكَّن من خلال هذا الانزياح من مفاجأة المتلقِّي، وتحقيق ما يُسمَّى: خيبة الانتظار(١).

٤ – الاهتمام بالمتلقِّي:

لعلَّ حازمًا من أكثر النقَّاد العرب اعتناءً بعلاقة الشعر بالمتلقِّي، وأسباب تأثيره فيه، وكل الحديث السالف الذي تضمَّنته الفقرة السابقة حول الإغراب والتعجيب في الشعر هو من الشواهد كذلك على الحضور القوي للمتلقِّي في ذهن حازم، بل إنَّ معظم صفحات كتاب حازم لا تخلو من إشارة إلى هذا المتلقِّي، فقد تحدَّث فيه عن المعاني الجمهورية التي يفهمها معظم الناس، وبيّن أنَّ أعرق المعاني الشعرية مستمدَّة منها؛ لشدَّة تأثيرها في النفوس، يستوي في ذلك خواصّ الناس وعوامُّهم(٢)، كما ردَّد مِرارًا على امتداد الكتاب أنَّ الغرض من الشعر ومن التخييل فيه هو تحريك النفوس إلى أمرٍ ما وإنهاضها إلى فِعله(٣)، وركَّز على أثر المحاكاة في المتلقِّي، وكيف تلتذّ النفوس بالمحاكاة أكثر من الشيء المحكي نفسه(٤)، ثم كيف تؤثِّر المحاسن

(١) يُنظَر: الأسلوبية والأسلوب/١٦٢-١٦٥، واللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري عيَّاد/٧٨-٨١، والبلاغة والأسلوبية، محمد عبدالمطلب/٢٦٨، ومن صيد الخاطر في النقد الأدبي/٣٦-٣٧.

(٢) يُنظَر: منهاج البلغاء/٢٠-٢١ ، ٢٨-٣٠ ، ١٨٨.

(٣) يُنظَر: المصدر السابق/٣٠-٣١ ، ٨١. ٨٢ ، ٨٦ ، ١٠٦ ، ٢٩٤ ، ٣٤٦-٣٤٨ .

(٤) يُنظَر: المصدر السابق/١١٦-١١٨ .

التأليفية المصاحبة للمحاكاة في تحسين الشيء المحكيّ؛ مثلما تزيد آنية الزجاج والبلور التي تشفُّ عن المشروب من تلذُّذ شاربه به[١]، ومن هنا نصح الشاعر باعتماد هذه المحاسن التأليفية لاستمالة المتلقِّي، والتأثير فيه، ومن هذه المحاسن: التعجيب والإغراب -وقد تقدَّم الحديث عن هذه المسألة- ومِنها: مراعاة التناسب والانسجام بين أنواع الشيء وضروبه[٢]، ومِنها: المراوحة بين المعاني، والافتنان في الأساليب لإمتاع السامع، والحذر من ضجره فيما لو استمرَّ الشاعر على أُسلوب واحد[٣].

ومن اللافت حقًّا أن معظم عنوانات المناهج في كتابه -وهي بمثابة الفصول الأساسية للكتاب- وعلى الرغم من اختلاف الموضوع الذي يُعنَى به كلُّ منهج؛ فإن هذه العنوانات كانت تُختَم بعبارة مكررة تتجه مباشرةً للمتلقي، وهي قوله: (من حيث تكون مُلائِمة للنفوس، أو مُنافِرة لها)، مع اختلاف يسير جدًا في الصياغة في بعض هذه العنوانات[٤].

---

(١) يُنظَر: منهاج البلغاء/١١٨-١٢١، ١٢٩.

(٢) يُنظَر: المصدر السابق/٢٤٥-٢٤٩ .

(٣) يُنظَر: المصدر السابق/٦١، ٢٩١، ٢٩٦، ٣٤٨، ٣٥٩-٣٦٣، ٣٨٨-٣٨٩.

(٤) يُنظَر: منهاج البلغاء/٩، ١١، ٦٢، ١٣٠، ١٩٩، ٢٢٦، ٢٨٧، ٣٠٣، ٣٢٧، ٣٣٦، ٣٥٤. وقد سبق إلى التنبيه على هذه الملحوظة مجدي توفيق في كتابه مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم/٢٥٠، لكنه عمّم الملحوظة، وجعلها شاملة لجميع عنوانات مناهج الكتاب: «لم يفلت من هذه العبارة منهج واحد»، ولكنّ الرجوع إلى كتاب حازم يُظهر خطأ هذا التعميم، فقد خلا عنوان المنهج الأخير في الكتاب من هذه العبارة؛ يُنظَر: منهاج البلغاء/٣٦٥.

بل إن رصد المعجم النقدي في كتاب حازم يُظهر انتشارًا واسعًا للألفاظ المتصلة بالمتلقي فيه، وقد أحصى محمد التجاني أكثر من ستين لفظًا استعملها حازم في كتابه للتعبير عن التلقي وأحواله والمؤثّرات فيه؛ مثل: الأُلفة، والتأنيس، والتأثير، والتحريك، والابتهاج، والارتياح، والاستحسان، والاهتزاز، والتعجّب، والاستغراب، والنشاط، والنفور، والمخاطَب، والسامع، والجمهور(١).

غير أنَّ أبرز الأفكار المتعلِّقة بالمتلقي التي تقاطع فيها حازم مع بعض نظريات التلقِّي المعاصرة إشارته إلى مسألة: أهمِّية الاستعداد عند المتلقِّي، وأثره في الكيفية التي يتلقَّى بها الشعر، وما فيه من إبداع وتخييل، وفي هذا يقول : «وليست المحاكاة في كلِّ موضع تبلغ الغاية القُصوى من هزّ النفوس وتحريكها، بل تُؤثِّر فيها بحسب ما تكون عليه درجة الإبداع فيها، وبحسب ما تكون عليه الهيئة النُّطقية المقترنة بها، وبقدْر ما تجد النفوس مستعدَّة لقبول المحاكاة والتأثُّر لها. تنوير: فتحرُّك النفوس للأقوال المخيِّلة إنما يكون بحسب الاستعداد... والاستعداد نوعان: استعداد بأن تكون للنفس حالٌ وهوى قد تهيَّأتْ بهما لأنْ يُحرِّكها قول ما؛ بحسب شدَّة موافقته لتلك الحال والهوى؛ كما قال المتنبي:

إنما تَنفعُ المقالةُ في المرءِ إذا وافقتْ هَوى في الفُؤادِ

(١) يُنظَر: التلقي لدى حازم القرطاجني من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء، محمد التجاني/٢٣-١٦٥.

والاستعداد الثاني: هو أن تكون النفوس معتقدةً في الشعر أنه حكَم، وأنه غريم يتقاضى النفوس الكريمة الإجابة إلى مُقتضاه؛ بما أسلبها من هِزَّة الارتياح لحسْن المحاكاة، هكذا كان اعتقاد العرب في الشعر، فكم من خطْب عظيم هوَّنه عندهم بيت، وكم خطْب هيِّن عظَّمه بيت آخر... أمَّا الاستعداد الذي يكون بأن يعتقد فضل قول الشاعر وصدعه بالحِكْمة فيما يقوله؛ فإنه معدوم بالجملة في هذا الزمان، بل كثير من أنذال العالم -وما أكثرهم- يعتقد أنَّ الشعر نقص وسفاهة، وكان القدماء من تعظيم صناعة الشعر واعتقادهم فيها ضد ما اعتقده هؤلاء الزعانفة... فانظر إلى تفاوت ما بين الحالين... وإنما هان الشعر على الناس هذا الهون؛ لعُجْمة ألسنتهم، واختلال طباعهم، فغابت عنهم أسرار الكلام وبدائعه المحرِّكة جملةً، فصرفوا النقص إلى الصناعة، والنقص بالحقيقة راجعٌ إليهم، وموجود فيهم»[1].

(١) يُنظَر: منهاج البلغاء/١٢١-١٢٢، ١٢٤-١٢٥، والبيت من دالية لأبي الطيب نظمها عقب تصالح كافور ومولاه: ابن الإخشيد، يُنظَر ديوان المتنبي بشرح العكبري ٣١/٢.

وهذه المسألة التي قرَّرها حازم هنا، وهي: أهمِّية الاستعداد عند المتلقِّي، وأثر هذا الاستعداد في الكيفية التي يتلقَّى بها الإبداع الشعري من أهمِّ المسائل التي تتناولها النظريات الحديثة في القراءة والتلقِّي، وهي تدخل ضمن ما سمَّاه ياوس: أفق التوقُّعات(١).

٥- العناية بمفهوم الأُسلوب:

قسَّم حازم كتابه أربعة أقسام رئيسة، وقد خصَّص القِسم الرابع منه للأُسلوب، وعنْونه به(٢)، وتناول فيه الطُّرُق الشعرية في التعبير عن الجِدّ والهزْل، وخصائص الفنون الشعرية، ثم فصَّل القول في الأساليب الشعرية التي يسلكها الشعراء في التعبير عن المعاني المتنوِّعة، وقدَّم بعد ذلك مفهومًا محدَّدًا للأُسلوب، وهو أنه: هيئة تحصل عن التأليفات المعنوية والنقلة من بعضها إلى بعض، وكيفية الاطِّراد فيها(٣)، وقد قارن حازم بين هذا المفهوم للأُسلوب ومفهوم النظْم، منبّهًا على اختصاص الأسلوب بالتأليفات المعنوية،

---

(١) في حديث النقاد عن أفق التوقُّعات عند ياوس، وعن الدور المركزي الذي تؤديه هذه الفكرة ضمن نظرية القراءة والتلقي، وتقاطعها مع إسهامات حازم في هذا المجال يُنظَر: الخطاب والقارئ، حامد أبو أحمد/٨٥-٩٢، ودليل الناقد الأدبي، ميجان لرويلي وسعد البازعي/٢٨٥، ونحو جمالية للتلقي، جان ستاروبنسكي، ضمن كتاب: في نظرية الأدب، ترجمة محمد العمري/٢٠٢-٢٠٥، والتلقي لدى حازم القرطاجني/٥٢٦-٥٤٩، وإشكالية التلقِّي عند حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء، محمود درابسة، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج١٢، ع٢، رمضان ١٤١٨هـ/شباط ١٩٩٧م/٤٧٥-٤٩٩.

(٢) يُنظَر: منهاج البلغاء/٣٢٥-٣٨٠.

(٣) يُنظَر: المصدر السابق/٣٦٣-٣٦٤.

واختصاص النظم بالتأليفات اللفظية[١]، وكلّ هذا في تفصيل وتدقيق يندر أن تجده عند غيره من نقادنا السابقين الذين تناولوا مفهوم الأُسلوب، ولا يُضارعه في هذا سوى ابن خلدون الذي جاء بعده، واعتنى بهذا المفهوم في مقدِّمته[٢].

وقد ثمَّن النقَّاد المعاصرون المسهِمون في مجال الدراسات الأسلوبية الحديثة هذه الإسهامات المبكِّرة التي قدَّمها حازم القرطاجني في هذا الميدان؛ مع تمييزهم الدقيق لمفهوم الأُسلوب عنده، ومدى التزامه بهذا المفهوم[٣].

٦- النظر الكُلِّي للقصيدة، وتقسيمها إلى فصول متتابعة:

كان نظر حازم إلى القصيدة شاملًا، فلم يكتفِ بالنظر إلى البيت، أو إلى الأبيات المتجاورة في القصيدة، بل مدَّ بصره إلى مجمل القصيدة فتحدَّث عن أجزائها الكبرى فيما سمَّاه: فصول القصيدة، وخصَّص منهجًا كاملًا من مناهج كتابه[٤] للحديث عن تقدير فصول القصيدة وترتيبها وإحكام مبانيها، وكيفية وصل بعضها ببعض، ونثر في هذا المنهج الكثير من الملحوظات القيِّمة في مجال الدراسة الكُلِّية للقصيدة، وقد ابتدع في هذا المنهج مصطلحين خاصِّين برؤوس الفصول وأعقابها، وهما مصطلحا: التسويم،

---

(١) يُنظَر: المصدر السابق/٣٦٤.

(٢) يُنظَر: مقدِّمة ابن خلدون ٣/١٣٠٠-١٣٠٨.

(٣) يُنظَر: اللغة والإبداع/١٩-٢٠، والبلاغة والأسلوبية/٢٧-٣٠.

(٤) يُنظَر: منهاج البلغاء/٢٨٧-٣٠٢.

والتحجيل[١]. وفي سوى هذا المنهج تجد في الكتاب شواهد متعدِّدة على استيعاب حازم لهذا النظر الكلّي للقصيدة[٢].

وقد شاع مثل هذا النظر الكُلّي للقصيدة في النقد الأدبي الحديث، وظهرت مصطلحات عديدة تكشف عن الاهتمام بهذا الجانب؛ مثل مصطلح (الوحدة العضوية)[٣]؛ وإنْ كان مفهوم هذا المصطلح مُباينًا لمفهوم الفصول عند حازم[٤]؛ لكنهما يلتقيان بوجهٍ ما في النظرة الكلية للقصيدة.

٧- الاحتفاء بالتجربة الشعرية، والاعتناء بمراحل إبداع القصيدة:

بذل حازم جهدًا كبيرًا في الحديث عن التجربة الشعرية التي يمرُّ بها الشاعر أثناء نظْم القصيدة؛ وإنْ ركَّز في هذا الجانب على البُعد الصناعي للتجربة أكثر من البُعد النفسي لها، ومن هنا راح يتحدَّث عن خطوات النظْم، والمراحل التي تمرُّ بها العملية الشعرية، وكيفية تشكُّل المعاني وتوالدها أثناءها[٥]، ويبدو أنَّ حازمًا قد استمدَّ مادَّة كلامه في هذه المسألة من تجربته الشعرية الخاصَّة، ومن استقرائه الدقيق لقصائد الشعراء، وتتبُّعه الفاحص لسِيَرهم، ولعلَّ هذا ما جعله يصِل إلى فكرة دقيقة في هذا الشأن، تتصل بالبُعد النفسي

(١) يُنظَر: المصدر السابق/٢٩٧، ٣٠٠.

(٢) يُنظَر: المصدر السابق/٦١، ١٥٣، ٢٠٠ ، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٨٠، ٢٨٦، ٣٠٣-٣٢٣، ٣٦٠، ٣٦٣.

(٣) يُنظَر: النقد الأدبي الحديث/٣٩٤-٤٠٧، وفي النقد الأدبي/١٥٣-١٦٠.

(٤) يُنظَر: نظرية الشعر عند حازم القرطاجني ومصادرها العقلية والنقلية/٩٣-٩٤.

(٥) يُنظَر: منهاج البلغاء/١٠٩-١١١ ، ١٩٩-٢١٦ ، ٢٧٨-٢٨٢.

للشعر، وهي: أهمية صدق التجربة لتحقيق الإبداع الشعري، فقد قال: «اعلم أنَّ خير الشعر ما صدر عن فِكْر ولِعٍ بالفنّ والغرض الذي القول فيه، مرتاحٍ للجهة والمنحى الذي وجَّه إليه كلامه... ولهذا كان أفضل النسيب ما صدر عن سجيَّة نفسٍ شجيَّة، وقريحة قريحة»(١).

وقد اعتنى النقد الأدبي الحديث بالتجربة الشعرية عند الشعراء، وعدَّها من الجوانب المهمَّة التي تضيئ القصيدة، وتُبرز موقفها الوجداني وبواعث الإلهام الشعري فيها(٢).

هذه أهمّ المسائل النقدية التي يظهر فيها بقدر أوضح وجوه اتصال ملحوظة بين رؤية حازم النقدية النزّاعة إلى البناء المنهجي المتّسق وبين الرؤية النقدية الحديثة، وبالإضافة إلى هذه المسائل هناك مسائل أخرى مشتركة أقلّ تقاطعًا، ويمكن الاكتفاء بالإيماء إليها هنا؛ لتجنُّب التطويل، ومِنها: إشارة حازم إلى بعض العناصر التي تتضمَّنها نظرية الاتصال في عِلم اللغة الحديث(٣)، وإشارته إلى مفهوم الشعرية في الشعر(٤)، وحديثه عن منازع الشعراء والمذاهب الشعرية(٥)، وموقفه المتسامح مع الإبداع الشعري، ومع سقطات كبار الشعراء(٦).

---

(١) يُنظَر: المصدر السابق/٣٤١.

(٢) يُنظَر: النقد الأدبي الحديث/٣٨٣-٣٩٤، وفي النقد الأدبي/١٣٨-١٤٥.

(٣) يُنظَر: منهاج البلغاء/٣٤٦، والخطيئة والتكفير/٧ ، ١٥-١٦.

(٤) يُنظَر: منهاج البلغاء/٢٨، والخطيئة والتكفير/١٩.

(٥) يُنظَر: منهاج البلغاء/٢١٦-٢٢١، ٣٦٥-٣٧٣.

(٦) يُنظَر: المصدر السابق/١٤٣-١٤٤، ٢٣٩، ٢٦٢.

خاتمة

سيظلُّ حديثنا عن البناء المنهجي لكتاب حازم، وعن منزلة هذا الكتاب بالمجمل في البلاغة العربية حديثًا نسبيًا إلى حدٍّ ما؛ ما دمنا لا نملك إلاَّ هذه النسخة الناقصة عنه، وفي ظِلِّ تعذُّر العثور -حتى الآن- على نُسخة أخرى للكتاب تسدُّ النقص الكبير الذي لحقه بسبب البتْر الواقع في أوله وآخره؛ فإنَّ هذا الكتاب بوضعه الحالي لا يُقدِّم صورة شاملة عن مُراد مؤلِّفه من هذا المشروع النقديّ الطموح الذي أسَّسه في كتابه.

هي إذن صورة تقريبية عن هذا المشروع تتراءى لنا من خلال هذه النسخة المبتورة، وأنا لا أعني هنا أننا عاجزون عن الوصول إلى تصوُّر واضح عن هذا الكتاب من خلال الجزء المتبقِّي منه -وهو أكثره- وإنما أعني أنَّ هذا التصوُّر -على الرغم من وضوحه- يفتقر إلى الشمولية في استقراء الكتاب كما وضعه مؤلِّفه؛ ولهذا تظلُّ الأحكام والاستنتاجات المبنية على هذا التصوُّر؛ وخصوصًا الأحكام والاستنتاجات النافية أقرب إلى النسبية وعدم القطْع الجازم.

ومهما يكن من أمر، فقد تميَّز هذا الكتاب ببنائه المنهجي الفريد، وبتناوله المختلف لكثير من المسائل البلاغية والنقدية التي جمع فيها بين المصادر البلاغية العربية، والمصادر الفلسفية، وفِطْنةِ شاعرٍ حاذق بأُصُول الصنعة الشعرية، مستقرئٍ بدِقَّة لأساليب الشعراء الكبار في التعبير والتصوير، وقد كشف هذا الكتاب بعد هذا عن عقلية هندسية بامتياز؛ من خلال الوجوه الآتية:

أ- أسلوب حازم المتفرّد في تقسيم الكتاب وترتيبه.

ب- قدرته اللافتة على استجلاء الأقسام والتفريعات الخفيَّة التي تنطوي عليها المسائل والأفكار، وحصرها بدِقَّة، ثم تقسيمها تقسيمًا منطقيًا منضبطًا.

ت- منهجيته الصارمة والحازمة -كاسمه- في تناوله لمباحث كتابه، وهي المنهجية التي تجعله يتوقَّف عن التفصيل في مسألة؛ مع انفساح مجال القول فيها، وعلى الرغم من شعوره بحاجة القارئ إلى مزيد من التفصيل حولها؛ وكلُّ هذا لكي لا يُخِلَّ ببِناء كتابه، وبالتناسب بين أجزائه، وبتواؤم هذا كلِّه مع الوقت الذي خصَّصه لتأليف هذا الكتاب؛ كما صرَّح بذلك في مواضع كثيرة من كتابه(١).

من هنا جاء هذا البحث لرصد هذا المنحى المنهجي البارز في كتاب حازم، وتتبّع تجلياته؛ عبر تحليل مكوّناته وعناصر بنائه، وأبرز هذه العناصر: عنوان الكتاب، وبواعث تأليفه، وأقسامه وطريقة بنائه، ومصطلحاته، وشواهده، ومصادره، ثم النظر في أثر هذه المنهجية العالية للكتاب في كيفية تناوله لعدد من القضايا النقدية، ووجوه اتصال هذا التناول بالرؤية النقدية الحديثة.

ويمكن إجمال أبرز النتائج التي توصل إليها هذا البحث فيما يأتي:

---

(١) يُنظَر: منهاج البلغاء/٣٧، ٤٧، ٥١، ٥٦، ٧٠، ١٣٠، ١٣١، ١٧٦، ٢٢٢، ٢٤٤-٢٤٥، ٢٩١، ٢٩٥، ٣٥٣، ٣٧٣.

١- مع افتقادنا لمقدمة (منهاج البلغاء) لحازم؛ بسبب البتْر الذي أصاب مخطوطة الكتاب؛ فإن تأمّل بقية أجزاء الكتاب يمكن أن يعيننا على تقدير بعض العناصر المنهجية التي يُتوقَّع أن حازمًا تحدّث عنها في مقدمته المفقودة، ومنها: بواعث التأليف، وقد خلصت الدراسة إلى استنتاج ثلاثة أسباب دفعتْ حازمًا إلى تأليف كتابه، وهي: تردّي أوضاع الشعر وضعف الشعراء في عصره، وسعيه للخروج بعلم البلاغة عن إطار التوجُّه الكلامي والإعجازي الذي غلب عليه منذ القرن الرابع الهجري إلى توجُّه فنّي أقرب إلى صنعة الشعر وبراعة التخييل، وطموحه إلى الكشف عن أُصول صناعة البلاغة وجوهرها الخفيّ، متجاوزاً ظواهرها التي رأى أن البلاغيين السابقين له قد توقفوا عندها.

٢- رجّحت الدراسة أن عنوان القسم الأول المفقود من الكتاب هو: الألفاظ، بناءً على رصد عدد من الإحالات والعبارات الواردة في بقية أجزاء الكتاب.

٣- كثرة العنوانات التي وضعها حازم داخل متن الكتاب ربما تكون أحد أسباب التشتيت والارتباك الذي يلمّ بقارئ (المنهاج) وهو ينتقل باستمرار بين هذه العنوانات الكبرى والصغرى المتلاحقة.

٤- مع اعتناء حازم بمصطلحي: المحاكاة، والتخييل، فإنّ تمييزه بينهما لم يكن حاسمًا دائمًا، إذْ يبدو في بعض المواضع وكأنه يعدُّهما قرينين أو متداخلين في مفهوميهما، وهو ما جعل الباحثين المعاصرين يذهبون مذاهب شتى في تعليل هذا التداخل المصطلحي عنده.

٥- معظم شواهد كتاب (منهاج البلغاء) هي شواهد شعرية، ولهذا الرجحان الكمّي دلالته الواضحة على أن بؤرة الانشغال البلاغي والنقدي عند حازم هي: الشعر، وليس الانشغالات الكلامية والإعجازية التي استقطبت جهود عدد كبير من البلاغيين الذين سبقوه وعاصروه، وقد نالوا نصيبهم من نقده لهم ولتوجُّههم الكلامي.

٦- كتاب (منهاج البلغاء) لحازم قريب الصلة من طبيعة التفكير والتأليف النقدي المعاصر، فهو أولًا مقسّم بطريقة منهجية صارمة، كما أنه يمتاز ثانيًا بشمولية النظر النقدي واستيعابه لأكثر المشكلات النقدية التي ما فتِئتْ تشغل نظريات النقد ومناهجه حتى الآن، والكتاب ثالثًا مهموم بالتوفيق بين رؤيتين للشعر: عربية، ويونانية، سعيًا -كما يقول- إلى إقامة البلاغة المعضودة بالأُصُول المنطقية والحِكْمية، وقد تجسّد هذا التلاقي بين كتاب حازم والرؤية النقدية المعاصرة في طريقة تناوله لعدد من المسائل والقضايا النقدية، مثل: مفهوم الشعر، والموقف من الغموض فيه، والاهتمام بالمتلقي، والعناية بمفهوم الأسلوب، والنظرة الكلية للقصيدة، والاحتفاء بالتجربة الشعرية.

وبعد؛ فهذه مجموعة من الوقفات المنهجية والعلمية مع هذا الكتاب البلاغي الحافل: (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجني، أرجو أن تكون هذه الوقفات قد قرَّبتْ هذا الكتاب بصورة أكبر، وكشفتْ عن شيء من نواحي تميُّزه وثرائه.

المصاردر والمراجع:

١. أزهار الرياض في أخبار عياض، شهاب الدين المقّري التلمساني، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.

٢. أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

٣. الأسلوبية والأسلوب، عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط٣، د.ت.

٤. إشكالية التلقي عند حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء، محمود درابسة، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج١٢، ع٢، رمضان ١٤١٨هـ/شباط ١٩٩٧م.

٥. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق عادل عبدالموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٦. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

٧. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٨. بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، إبراهيم سلامة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

٩. البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، محمد العمري، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.

١٠. البلاغة والأسلوبية، محمد عبدالمطلب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

١١. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الشروق، عمّان، ط١، ١٩٩٣م.

١٢. التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

١٣. تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٤. التلقي لدى حازم القرطاجني من خلال منهاج البلغاء وسراج الأدباء، محمد بنلحسن بن التجاني، عالم الكتب الحديث، إربد، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
١٥. حازم القرطاجني حياته ومنهجه البلاغي، عمر إدريس عبدالمطلب، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٩م.
١٦. حازم القرطاجني ونظريات أرسطو في الشعر والبلاغة، عبدالرحمن بدوي، د.ن، القاهرة، ١٩٦١م.
١٧. حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر، سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
١٨. الخطاب والقارئ، حامد أبو أحمد، مؤسسة اليمامة الصحفية، كتاب الرياض، ع٣٠، يونيو ١٩٩٦م.
١٩. الخطيئة والتكفير، عبدالله الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٩٨٥م.
٢٠. دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٥، ٢٠٠٧م.
٢١. ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، ضبط وتصحيح مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.
٢٢. رسالة في الفرق بين المترسّل والشاعر، أبو إسحاق الصابئ، ضمن كتاب: رسائل تراثية في النقد والبلاغة، تحقيق محمد الهدلق، إصدارات كرسي الدكتور عبدالعزيز المانع، جامعة الملك سعود، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
٢٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، شهاب الدين ابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
٢٤. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.
٢٥. طبقات المفسرين، شمس الدين الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٦. ظاهرة الشعر عند حازم القرطاجني، محمد الحافظ الروسي، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.
٢٧. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، تحقيق عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٢٨. في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٥، د.ت.
٢٩. كتاب أرسطوطاليس في الشعر، حققه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية شكري محمد عياد، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.
٣٠. اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري محمد عياد، د.ن، ط١، ١٩٨٨م.
٣١. المرايا المقعّرة نحو نظرية نقدية عربية، عبدالعزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٣٢. مفهوم الإبداع الفني في النقد العربي القديم، مجدي أحمد توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
٣٣. مفهوم التخييل في النقد والبلاغة العربيين الأصول والامتدادات، يوسف الإدريسي، مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
٣٤. مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي. جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٥م.
٣٥. مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٣، د،ت.
٣٦. مناهج البحث البلاغي عند العرب، عماد البخيتاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
٣٧. من صيد الخاطر في النقد الأدبي، وليد قصاب، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٣٨. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م.

٣٩. منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، دار الشؤون الثقافية– وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.
٤٠. موقف حازم من قضية الغموض في الشعر مقارنًا بمواقف النقاد السابقين، محمد الهدلق، مجلة جامعة الملك سعود، مج٤، الآداب(٢)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
٤١. نظريات الشعر عند العرب، مصطفى الجوزو، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٤٢. نظرية الشعر عند حازم القرطاجني ومصادرها العقلية والنقلية، عبدالفتاح عثمان، حوليات كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ع١٣، ١٩٩١م.
٤٣. نحو جمالية للتلقي، جان ستاروبنسكي، ضمن كتاب: في نظرية الأدب، ترجمة محمد العمري، مؤسسة اليمامة الصحفية، كتاب الرياض، ع ٣٨، فبراير ١٩٩٧م.
٤٤. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين المقّري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٤٥. النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م.
٤٦. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠١٥م.
٤٧. نقد النثر، المنسوب لقدامة بن جعفر، تحقيق عبدالحميد العبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٤٨. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

Reference:

- Az′hār al-Riyāḍ fī Akhbār ‘Iyāḍ, Shihāb al-Dīn almqqry al-Tilimsānī, taḥqīq Muṣṭafá al-Saqqā et al., Maṭba‘at Lajnat al-Ta’līf wa-al-Tarjamah wa-al-Nashr, al-Qāhirah, ١٣٦١H \ ١٩٤٢G.
- Asrār al-balāghah, ‘bdālqāhr al-Jurjānī, qara’ahu w‘llq ‘alayhi Maḥmūd Shākir, Dār al-madanī, Jiddah, ١st edition, ١٤١٢H / ١٩٩١G.
- al-uslūbīyah wa-al-uslūbīyah, ‘Abdussalām al-Masaddī, al-Dār al-‘Arabīyah lil-Kitāb, ٣rd edition, (without date).
- Ishkālīyat al-talaqqī ‘inda Ḥāzim al-Qarṭājannī fī kitābihi Minhāj al-bulaghā’, Maḥmūd Darābisah, Majallat Mu’tah lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt, Vol. ١٢, ‘٢, Ramaḍān ١٤١٨H / February ١٩٩٧G.
- al-Baḥr al-muḥīṭ, Abū Ḥayyān al-Andalusī, taḥqīq ‘Ādil ‘bdālmwjwd et al., Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, ١st edition, ١٤١٣H / ١٩٩٣G.
- al-burhān fī ‘ulūm al-Qur’ān, Badr al-Dīn al-Zarkashī, taḥqīq Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Dār al-Ma‘rifah, Bayrūt, (without edition), (without date).
- Bughyat al-wu‘āh fī Ṭabaqāt al-lughawīyīn wa-al-nuḥḥāh, Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī, taḥqīq Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Maṭba‘at ‘Īsá al-Bābī al-Ḥalabī, ١st edition, ١٣٨٤H / ١٩٦٤G.
- Balāghat Arisṭū bayna al-‘Arab wa-al-Yūnān, Ibrāhīm Salāmah, Maktabat al-Anjlū al-Miṣrīyah, ١st edition, ١٣٦٩H / ١٩٥٠G.
- al-balāghah al-‘Arabīyah uṣūluhā wa-imtidādātuhā, Muḥammad al-‘Umarī, Afrīqiyā al-Sharq, al-Dār al-Bayḍā’, ١٩٩٩G.
- al-balāghah wa-al-uslūbīyah, Muḥammad ‘bdālmṭlb, Maktabat Lubnān Nāshirūn, Bayrūt, (١st edition), ١٩٩٤G.
- Tārīkh al-naqd al-Adabī ‘inda al-‘Arab, Iḥsān ‘Abbās, Dār al-Shurūq, ‘Ammān, (١st edition), ١٩٩٣G.
- al-Taṣwīr al-bayānī dirāsah taḥlīlīyah li-masā’il al-Bayān, Muḥammad Muḥammad Abū Mūsá, Maktabat Wahbah, al-Qāhirah, (٣rd edition), ١٤١٣H / ١٩٩٣G.

- Taqrīb Minhāj al-bulaghā' li-Ḥāzim al-Qarṭājannī, Muḥammad Muḥammad Abū Mūsá, Maktabat Wahbah, al-Qāhirah, (٢nd edition), ١٤٢٩H / ٢٠٠٨G.
- al-talaqqī ladá Ḥāzim al-Qarṭājannī min khilāl Minhāj al-bulaghā' wa-sirāj al-Udabā', Muḥammad Binilḥasan ibn al-Tijānī, 'Ālam al-Kutub al-ḥadīth, Irbid, (١st edition), ١٤٣٢H / ٢٠١١G.
- Ḥāzim al-Qarṭājannī ḥayātuhu wa-manhajuhu al-balāghī, 'Umar Idrīs 'bdālmṭlb, Dār al-Janādirīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī', 'Ammān, ٢٠٠٩G.
- Ḥāzim al-Qarṭājannī wa-naẓarīyāt Arisṭū fī al-shi'r wa-al-balāghah, 'Abd-al-Raḥmān Badawī, (without publishing house), al-Qāhirah, ١٩٦١G.
- Ḥāzim al-Qarṭājannī wa-naẓarīyat al-Muḥākāh wa-al-takhyīl fī al-shi'r, Sa'd Maṣlūḥ, 'Ālam al-Kutub, al-Qāhirah, (١st edition), ١٤٠٠H / ١٩٨٠G.
- al-Khiṭāb wālqār', Ḥāmid Abū Aḥmad, Mu'assasat al-Yamāmah al-Ṣuḥufīyah, Kitāb al-Riyāḍ, '٣٠, June ١٩٩٦G.
- al-Khaṭī'ah wa-al-takfīr, Allāh al-Ghadhdhāmī, al-Nādī al-Adabī al-Thaqāfī, Jiddah, ١٩٨٥G.
- Dalīl al-nāqid al-Adabī, Mījān al-Ruwaylī ws'd al-Bāzi'ī, al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, al-Dār al-Bayḍā', (٥th edition), ٢٠٠٧G.
- Risālat fī al-firaq bayna almtrssl wa-al-shā'ir, Abū Isḥāq al-Ṣābi', ḍimna Kitāb : Rasā'il turāthīyah fī al-naqd wa-al-balāghah, taḥqīq Muḥammad al-Hadlaq, Iṣdārāt Kursī al-Duktūr 'Abd-al-'Azīz al-Māni', Jāmi'at al-Malik Sa'ūd, (١st edition), ١٤٣٧H / ٢٠١٦G.
- Shadharāt al-dhahab fī Akhbār min dhahab, Shihāb al-Dīn Ibn al-'Imād al-Ḥanbalī, taḥqīq Maḥmūd al-Arnā'ūṭ, Dār Ibn Kathīr, dmshq-byrwt, (١st edition), ١٤١٢H / ١٩٩١G.
- al-Ṣūrah al-fannīyah fī al-Turāth al-naqdī wa-al-balāghī 'inda al-'Arab, Jābir 'Uṣfūr, al-Markaz al-Thaqāfī al-'Arabī, Bayrūt, (٣rd edition), ١٩٩٢G.
- Ṭabaqāt al-mufassirīn, Shams al-Dīn al-Dāwūdī, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, (١st edition), ١٤٠٣H / ١٩٨٣G.

- Ẓāhirat al-shi‘r ‘inda Ḥāzim al-Qarṭājannī, Muḥammad al-Ḥāfiẓ al-Rūsī, Dār al-Amān, al-Rabāṭ, (١st edition), ١٤٢٨H / ٢٠٠٨G.
- ‘Arūs al-afrāḥ fī sharḥ Talkhīṣ al-Miftāḥ, Bahā’ al-Dīn al-Subkī, taḥqīq ‘Abd-al-Ḥamīd Hindāwī, al-Maktabah al-‘Aṣrīyah, ṣydā-byrwt, (١st edition), ١٤٢٣H / ٢٠٠٣G.
- Fī al-naqd al-Adabī, Shawqī Ḍayf, Dār al-Ma‘ārif, al-Qāhirah, (٥th edition), (without date).
- Kitāb Aristotle fī al-shi‘r, ḥaqqaqahu ma‘a tarjamat ḥadīthah wa-dirāsat lt’thyrh fī al-balāghah al-‘Arabīyah Shukrī Muḥammad ‘Ayyād, Dār al-Kātib al-‘Arabī, al-Qāhirah, ١٣٨٦H / ١٩٦٧G.
- al-lughah wa-al-ibdā‘ Mabādi’ ‘ilm al-uslūb al-‘Arabī, Shukrī Muḥammad ‘Ayyād, (without publishing house), (١st edition), ١٩٨٨G.
- al-marāyā almq‘‘rh Naḥwa Naẓarīyat naqdīyah ‘Arabīyah, ‘Abd-al-‘Azīz Ḥammūdah, ‘Ālam al-Ma‘rifah, al-Kuwayt, ١٤٢٢H / ٢٠٠١G.
- Mafhūm al-ibdā‘ al-Fannī fī al-naqd al-‘Arabī al-qadīm, Majdī Aḥmad Tawfīq, al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, ١٩٩٣G.
- Mafhūm al-takhyīl fī al-naqd wa-al-balāghah al-‘Arabīyayn al-uṣūl wa-al-imtidādāt, Yūsuf al-Idrīsī, Markaz al-Malik Allāh ibn ‘Abd-al-‘Azīz al-dawlī li-Khidmat al-lughah al-‘Arabīyah, al-Riyāḍ, (١st edition), ١٤٣٦H / ٢٠١٥G.
- Mafhūm al-shi‘r dirāsah fī al-Turāth al-naqdī. Jābir ‘Uṣfūr, al-Hay’ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah lil-Kitāb, al-Qāhirah, (٥th edition), ١٩٩٥G.
- Muqaddimah Ibn Khaldūn, taḥqīq ‘Alī ‘bdālwāḥd Wāfī, Dār Nahḍat Miṣr, al-Qāhirah, (٣rd edition), (without date).
- Manāhij al-Baḥth al-balāghī ‘inda al-‘Arab, ‘Imād albkhytāwy, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, (١st edition), ١٤٣٤H / ٢٠١٣G.
- Min Ṣayd al-khāṭir fī al-naqd al-Adabī, Walīd Qaṣṣāb, Dār al-Bashā’ir, Dimashq, (١st edition), ١٤٢٤H\٢٠٠٣G.
- Minhāj al-bulaghā’ wa-sirāj al-Udabā’, Ḥāzim al-Qarṭājannī, taḥqīq Muḥammad al-Ḥabīb Ibn al-Khūjah, Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt, (٣rd edition), ١٩٨٦G.

- Manhaj al-Baḥth al-lughawī bayna al-Turāth wa-‘ilm al-lughah al-ḥadīth, ‘Alī Zuwayn, Dār al-Shu’ūn althqāfyt-wzārh al-Thaqāfah wa-al-I‘lām, Baghdād, (١st edition), ١٩٨٦G.
- Mawqif Ḥāzim min Qaḍīyat al-ghumūḍ fī al-shi‘r mqārnan bmwāqf al-nuqqād al-sābiqīn, Muḥammad al-Hadlaq, Majallat Jāmi‘at al-Malik Sa‘ūd, Vol. ٤, al-Ādāb (٢), ١٤١٢H / ١٩٩٢G.
- Naẓarīyāt al-shi‘r ‘inda al-‘Arab, Muṣṭafá al-Jūzū, Dār al-Ṭalī‘ah, Bayrūt, (٢nd edition), ١٤٠٨H / ١٩٨٨G.
- Naẓarīyat al-shi‘r ‘inda Ḥāzim al-Qarṭājannī wa-maṣādiruhā al-‘aqlīyah wa-al-naqlīyah, ‘bdālftāḥ ‘Uthmān, Ḥawlīyāt Kullīyat Dār al-‘Ulūm bi-Jāmi‘at al-Qāhirah, ‘١٣, ١٩٩١G.
- Naḥwa jamālīyah lil-talaqqī, Jān stārwbnsky, ḍimna Kitāb : fī Naẓarīyat al-adab, tarjamat Muḥammad al-‘Umarī, Mu’assasat al-Yamāmah al-Ṣuḥufīyah, Kitāb al-Riyāḍ, ‘A ٨٣, February ١٩٩٧G.
- Nafḥ al-Ṭayyib min Ghuṣn al-Andalus al-raṭīb, Shihāb al-Dīn almqqry al-Tilimsānī, taḥqīq Iḥsān ‘Abbās, Dār Ṣādir, Bayrūt, ١٣٨٨H\١٩٦٨G.
- al-Naqd al-Adabī al-ḥadīth, Muḥammad Ghunaymī Hilāl, Dār al-‘Awdah, Bayrūt, ١٩٨٧G.
- Naqd al-shi‘r, Qudāmah ibn Ja‘far, taḥqīq Kamāl Muṣṭafá, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah, (٤th edition), ٢٠١٥G.
- Naqd al-nathr, al-mansūb li-Qudāmah ibn Ja‘far, taḥqīq ‘Abd-al-Ḥamīd al-‘Abbādī, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, ١٤٠٠H\١٩٨٠G.
- al-Wāfī bi-al-Wafayāt, Ṣalāḥ al-Dīn al-Ṣafadī, taḥqīq Aḥmad al-Arnā’ūṭ wtrky Muṣṭafá, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt, (١st edition), ١٤٢٠H\٢٠٠٠G.